ملف العدد..

حصـاد الحرمـل في سـنتين

الحرمل

WWW.ALHARMAL.COM

السنة الثانية / العدد 48 / 15 أيلول 2016

الحريـة دائمـاً

sayı 48 Her Daim Özgürlük

Alharmal Dergisi Kültür - Siyasi - 15 günde bir

ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة ـ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع منظمة بيت الرقة لكل السوريين

هـل يوقـف اتفـاق الهدنـة قتـل السـوريين..؟

الطريـق إلى جرابلـس.. قصة التحريـر الثاني

استشـهاد سـتة أشـخاص في غارة جوية وسـط الرقة..

غلاء في أسعار المواد الأساسية وندرة في الأدوية النوعية

ذرور الحرمل

اتفـاق «كـيري لافـروف» والمسـألة السـورية..!

بسام البليل

بترحيـب أوربي، وقبـول إيـراني تـركي، وخفـوت صـوت عربي (سـعودي، قطـري)، تلقـف العـالم الاتفـاق الـروسي الأمريـكي، حـول إحـلال هدنـة عسـكرية بالسـاعات في سـوريا، تُجـدد باتفـاق الطرفـين الموقعـين، بغيـاب كامـل للمعارضـة السـورية، والهيئـة العليـا للمفاوضـات عـن هـذا الاتفـاق الغامـض، الـذي عليهـم القبـول بـه، دون معرفـة تفاصيلـه، وبنـوده السريـة.

حيـث تحـرص أمريـكا عـلى إبقائـه سريـاً، لـكي لا تحـرج حلفاءهـا العـرب بالناشـز مـن مـواده، وللمحافظـة عـلى هامـش للمنـاورة، وإبقـاء البـاب مفتوحـاً لـلإدارة القادمـة.

وخشـيةً مـن أن تسـتغل روسـيا، فـترة جمـود الإدارة الأمريكيـة، لإحـداث تغيـرات جذريـة في قواعـد الاشـتباك، وموازيـن القـوى، قـد يحسـم النـزاع لصالـح الرؤيـة الروسـية للحـل بشـكل كامـل، مـما قـد يحـرم أمريـكا مـن هدفهـا الأسـاس باسـتدامة هـذا النـزاع أطـول فـترة ممكنـة، بمـا يتوافـق مـع رؤيتهـا السياسـية، ومصالحهـا الاسـتراتيجية في المنطقـة.

فيـما ترغـب روسـيا بالكشـف عـن هـذا الاتفـاق، لترسـخ إنجازاتهـا السياسـية بالعلنيـة، وإلـزام الإدارة الأمريكيـة القادمـة، بعنـاصره التـي بـدا أنّ الإرادة الروسـية هـي الغالبـة فيـه.

أمّـا الثـورة التـي تمـر بأسـوأ مراحلهـا منـذ العـام 2011 فقد بـدا الارتبـاك واضحـاً عـلى قياداتهـا السياسـية، ولا سـيما الهيئـة العليـا للمفاوضـات، التـي ظهـرت (كالأطـرش في الزفـة)، الـذي عليـه أن يصفـق ويفـرح، دون

التتمة في الصفحة (2)

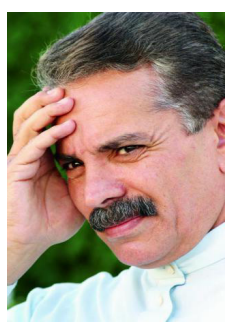

أقلام حـرّة

عبد العظيم إسماعيل

الحرمل والمشي على الجمر

عصام حقي

الحرمل.. ومذاق الصبر المرّ

إبراهيم العلوش

كُحلٌ يجلو الرّمد

د. سماح هدايا

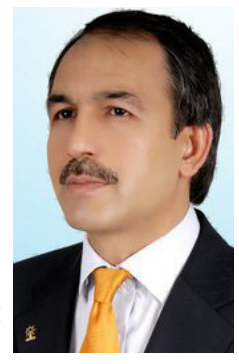

الحرمل

ALHARMAL

Veysel Polat

الحرمل في عددها الثامن والأربعين

Eyyüp Azlal

حـدث فـي زمـن الأسـد الأول.

نبيـل الفـواز

الثورة بين المشروع والمشروعية

إسماعيل الخليل

سـوريا، ومتلازمة الحزن العربي.

عاصف الخالدي

استشهاد ستة أشخاص في غارة جوية وسط الرقة
غلاء في أسعار المواد الأساسية وندرة في الأدوية النوعية

من الأرشيف

الرقة ـ الحرمل ـ خاص

مع دخول الهدنة، التي اتفق عليها الجانبان الأمريكي والروسي حيز التطبيق، تكون محافظة الرقة، كما المناطق الخاضعة لسيطرة تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» ضمن المناطق التي ستكون عرضة لقصف طيران النظام والطيران الروسي وطيران التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا، وسيكون سكانها البالغ عددهم أكثر من نصف مليون إنسان، بمن فيهم السكان الذين نزحوا من مناطق دير الزور وتدمر والسخنة وريف حلب، عرضة للموت الذي يتربص بهم في كل مكان، مع انعدام فرص النجاة، تحت أي شعار وأوله تحييد المدنيين عن النزاعات المسلحة، وكما هم معرضون للموت بقصف الطيران، ما زال أهل الرقة يعانون من عسف وتغول تنظيم داعش، الذي يمارس عناصره شتى أنواع التعذيب والاعتقال والقتل بحجج افتراضية تؤكد أن التنظيم لا يحتاج إلى أي مبرر لممارسة عسفه وظلمه تجاه المدنيين العزل.

وهنا سنستعرض لأبرز الأحداث التي مرّت على مدينة الرقة وريفها إضافة إلى إطلالة على الواقع الإنساني فيها.

في اليوم الأول من أيلول الجاري شهدت المدينة أول غارات للطيران الحربي استهدفت أطراف المدينة دون ورود أنباء عن الجهة التي نفذت الغارات، ولا عن أعداد الضحايا، سوى مشاهد الدمار التي تناقلها أبناء الرقة عن المناطق المستهدفة.

في اليوم الثاني من أيلول قامت وحدات اليبغا بوضع حواجز أمنية داخل مدينة تل أبيض في شمال محافظة الرقة، وشهدت سماء مدينة الرقة تحليقاً لطيران الاستطلاع، تصدت له الدفاعات الأرضية لقوات تنظيم الدولة «داعش»، مع ورود أنباء عن قيام جهاز الحسبة التابع للتنظيم بوضع لافتات على شاطئ نهر الفرات بالقرب من جسري الرشيد والمنصور، يمنع بموجبها ممارسة السباحة للنساء في نهر الفرات، تحت طائلة المسؤولية والعقوبة.

في اليوم الثالث من أيلول قام الطيران الحربي بتنفيذ عدة غارات على أطراف مدينة الرقة، ولا تأكيد عن أعداد الضحايا من المدنيين أو من عناصر تنظيم «داعش»، وشهدت مدينة تل أبيض استنفاراً أمنياً ونشراً للحواجز على مداخلها.

في اليوم الرابع من أيلول وردت أنباء تؤكد استشهاد المواطن ياسر أحمد العبود نحو 40 سنة تحت التعذيب في سجون النظام الأسدي، وكان الشهيد قد اعتقل منذ أكثر من عام على أحد حواجز النظام في مدينة اللاذقية، بالتزامن مع أنباء تؤكد سيطرة وحدات من الجيش الحر على كامل الشريط الحدودي مع الجانب التركي، من منطقة جرابلس وصولاً إلى مدينة اعزاز.

في يوم 7 أيلول الجاري شن الطيران الحربي عدداً من الغارات على مدينة الرقة، استهدف في إحداها منطقة مفرق الحصيوة، ولا أنباء مؤكدة عن ضحايا، أو حجم الدمار الناجم عن هذه الغارات.

في الثامن من أيلول تم توثيق أول حالة لرفع علم النظام في قرية المنبطح غرب مدينة تل أبيض الخاضعة لسيطرة قوات الحماية الكوردية، بالتزامن مع وصول جثة أحد عناصر العصابة الأسدية إلى المنطقة، وكان قد قُتل بالقرب من كلية التسليح في مدينة حلب، كما تم رفع علم النظام وعلم حزب اللات في مجلس العزاء. وشهد هذا اليوم حركة نزوح غير منظم في مدينة تل أبيض باتجاه مدينة عين العرب «كوباني».

في التاسع من أيلول، شهدت مدينة الرقة تحليقاً مكثفاً لطيران الاستطلاع، وطائرة من دون طيار تقصف حاجز المقص على مدخل الرقة الجنوبي، مع ورود أنباء تؤكد رفض تركيا لأي دور لوحدات حماية الشعب في معركة تحرير الرقة واستعادتها من تنظيم داعش، بالتزامن مع قيام عناصر من الجيش التركي بإزالة قسم من الأسلاك الشائكة على الحدود السورية التركية بالقرب من مدينة تل أبيض، وسط استنفار أمني شديد لعناصر الأسايش والبيدا في تل أبيض، مع ورود أنباء مؤكدة من الرقة تشير إلى قيام عناصر من تنظيم الدولة «داعش» بنشر عدد من الحواجز داخل مدينة الرقة، وسط تدقيق شديد على المدنيين.

في اليوم العاشر من أيلول أصدرت قوات الحماية الكوردية قراراً يمنع بموجبه الدخول إلى مدينة تل أبيض خلال أيام عيد الأضحى المبارك، مع ورود أنباء لاستهداف طيران التحالف الدولي لأحد مواقع تنظيم «داعش» في قرية العبو غربي بلدة عين عيسى، وأنباء عن انفجار قوي في مدينة الرقة، ناجم عن قصف جوي استهدف سيارة بالقرب من بناء الجميلي وسط مدينة الرقة، ما أسفر عن استشهاد ستة أشخاص، بينهم امرأة.

في الحادي عشر من أيلول ورود أنباء عن اشتباكات عنيفة بين عناصر من داعش ووحدات الحماية الكوردية جنوب بلدة عين عيسى، وأنباء عن تنفيذ الطيران الحربي لغارة جوية استهدف خلالها صهاريج تنقل مادة النفط الخام بالقرب من بلدة الغانم العلي شرق الرقة على الطريق العام الذي يربط الرقة بمدينة دير الزور.

في الثاني عشر من أيلول، نفذ الطيران الحربي غارة جوية على مدينة الرقة، دون أن ترد أنباء عن وجود ضحايا، وأنباء تؤكد عن جود استنفار أمني كثيف في مدينة تل أبيض الحدودية.

الوضع الإنساني في الرقة..

في ظل ارتفاع سعر الدولار، وتردي أوضاع الليرة السورية، حيث وصل سعر الدولار الواحد ما يعادل نحو 540 ليرة سورية، شهدت أسواق محافظة الرقة ارتفاعاً غير مسبوق لأسعار المواد والسلع الأساسية، بالتزامن مع انعدام فرص العمل وندرة الأموال أو شحها، نتيجة انقطاع رواتب العمال والموظفين العاملين في قطاعات الدولة، ومنع السفر خارج حدود الولاية باتجاه المدن الخاضعة لسيطرة النظام، أو المناطق الخاضعة لسيطرة الجيش الحر أو قوات الحماية الكوردية، كل هذا جعل الحياة كما يصفها أحد سكان الرقة الذي وصل حديثاً إلى تركيا بالجحيم الذي لا يُطاق، وحول قائمة أسعار المواد الأساسية، قال: بلغ سعر كيلو غرام الشاي نحو 3600 ليرة سورية، وكيلو السكر 450 ليرة، والرز نحو 650 ليرة، والعدس 600 ليرة، والبرغل 175 ليرة، والطحين 400 ليرة، الفاصولياء 600 ليرة، وليتر الزيت النباتي نحو 850 ليرة، وطبق البيض بنحو 1200 ليرة، كيلو البندورة 250 ليرة، الخيار 150 ليرة، الكوسا 150 ليرة، البطاطا 200 ليرة سورية.

وشهدت مدينة الرقة تحسناً كبيراً في أوضاع خدمات الكهرباء والمياه والهاتف الداخلي، مع الملاحظة زيادة قيمة فواتيرها المدفوعة والتي إلى حدود 3500 ليرة شهرياً، وضمان وصول الكهرباء طوال اليوم، مع الاحتفاظ بست ساعات تقنين موزعة على مدار اليوم، واقتصار عمل عناصر التنظيم على مراقبة المواد المنتهية الصلاحية دون التدخل بتحديد الأسعار أو مراقبتها، فهي تخضع لمبدأ تحرير الأسعار.

أما بالنسبة للواقع الصحي، فهو ما زال بوضع مزرٍ نتيجة تعرض معظم المنشآت الصحية والمشافي لقصف الطيران المتواصل الذي أدى لخروج معظمها عن الخدمة، إضافة لهجرة ونزوح معظم الأطباء من المدينة، وغلاء فاحش بالأدوية وندرة بالدواء النوعي، وانتشار أمراض الكبد بنوعيه الجرثومي والفيروسي، وأنباء مؤكدة عن انتشار داء الكلب في بعض المناطق من شمال محافظة الرقة.

تتمة إفتتاحية العدد

اتفاق «كيري لافروف» والمسألة السورية..!

أن يسمع الجلبة، ويستشعر البهجة.

غير أن بسمة قضماني، المتحدثة باسم الهيئة العليا، ما لبثت أن أعلنت تأييد الهيئة لهذا الاتفاق الذي تجهل مفرداته، لا لشيء، إلّا لكي تظهر كشريك سياسي، ولكن للأسف غير معترف به، إلا وقت الحاجة لانتزاع موافقته لإكساء القرارت المتخذة شرعية قبول الشعب السوري، المُغَيّب، بها.

لا شك أنّ الشعب السوري المنهك القوى، والمكتوي بنار حرب عالمية تُشن عليه على مدى ست سنوات، يشكل وقف إطلاق النار بالنسبة له بارقة أمل، قد تكون فاتحة لوقف الحرب في سورية.

ولكننا لن نصفق لهذا الاتفاق الذي نجهل تفاصيله، فيما نحن على ثقة من أن ما تحيكه أمريكا وروسيا، لم ولن يكون لمصلحة الثورة والشعب السوري، بحكم مواقفهما تجاه الشعب السوري على مدى السنوات الست السابقة من عمر الثورة.

كما لن نعطي هذا الاتفاق التأييد الشعبي الذي تريده روسيا وأمريكا، ونسبغ عليه المشروعية ببنوده السرية، سلة واحدة، مقابل مرور المساعدات الإنسانية، ووقف العمليات العدائية، والمفترض أنها حقوق إنسانية، ومشمولة بالعديد من القرارات الأممية السابقة، والشرعة الدولية.

لقد نسف هذا الاتفاق مبادىء جنيف واحد، ومضمون القرار 2254، ورسخ قواعد جديدة لتكون المنطلق للعملية السياسية القادمة، اعتمادا على ما سيسمى اتفاق (كيري لافروف).

فقد أخرج الأمريكان تركيا والسعودية من معادلة الأزمة السورية، وحلولها السياسية المرتقبة، وتفرد الأمريكان بالوصاية على الثورة السورية، من خلال إشغال السعودية بحرب اليمن، وإغراقها بمشاكلها، وتنبيه السعودية إلى ضرورة الالتزام بالقواعد الأمريكية، من خلال رسالة سحب المستشارين العسكريين من التحالف العربي، وإعطاء الضوء الأخضر للتقارير الحقوقية والإنسانية بالظهور، والإعلان عن جرائم حرب محتملة من قبل طيران التحالف العربي بحق الشعب اليمني، بحيث صار دور «المعلمي» في الأمم المتحدة هو الرد على هذه المزاعم وتفنيدها.

فيما تم توجيه رسالة أمريكية شديدة الوضوح إلى تركيا، من خلال محاولة الانقلاب الفاشلة، ستشغل تركيا بنفسها فترة طويلة من الزمن، دون نسيان استرضائها بالسماح لها بدخول الأراضي السورية، وتعطيل المشروع الكردي على حدودها الجنوبية، لقاء التزامها بالبقاء تحت المظلة الأمريكية.

بعد إقصاء كامل للدور الأوربي، وإطلاق يد الروس ضمن الحدود التي تسمح بها أمريكا، والتي تحاول روسيا تجاوزها بين وقت وآخر، وكلما سمحت الظروف.

وصار لزاماً علينا انتظار ما ستقرره لنا أمريكا وروسيا من حلول، ليس خافياً منها، ما توافق عليه أكثر المحللين السياسيين، من تعويم نظام بشار الأسد بعد أن تم جعله شريكاً بالأعمال القتالية ضد داعش، والتنسيق معه، وتسويق وجهة النظر الروسية المؤيدة للنظام، وإسقاط كل الاتفاقيات السابقة لصالح اتفاق (كيري لافروف)، وشرعنة وجود الميليشيات المساندة للنظام، والبدء بتفكيك كتائب الثورة السورية العسكرية، وقضمها بالتدريج، للإجهاز النهائي على الثورة السورية.

داعش ينفذ إعدامات جماعية بحق أبناء دير الزور والطيران ما زال يقصف

دير الزور ـ عامر هويدي

لعل حدث الإعدامات الجماعية هو الأبرز في محافظة دير الزور، فقد أقدم تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» على إعدام تسعة عشر شاباً من أبنائها في أول أيام عيد الأضحى المبارك، وذلك من خلال الإصدار الجديد الذي بثته وسائل الإعلام التابعة له، وحمل عنوان «صناعة الوهم»، وتضمن صوراً لعملية الإعدام ذبحاً بالسكاكين، بطريقة وحشيّة اعتاد أهالي المنطقة رؤيتها مخففة سابقاً، لكن هذه المرة جاءت صادمة ومؤلمة، في تقليد مباشر لصورة الأضاحي التي تقدم في أيام عيد الأضحى المبارك، والتي وصفها أحدهم بأضاحي العيد، قائلاً: «ضحّوا تقبل الله منكم، فإنّا مضحّون بعملاء الصليب».

أما على الصعيد الميداني فقد استهدف الطيران الحربي بعدة غارات كلاً من قرية حطلة فوقاني وبادية مراط بريف دير الزور ومنطقة المعامل على طريق عام دير الزور الحسكة كما استهدف أيضاً حي الحميدية الواقع تحت سيطرة تنظيم داعش في مدينة دير الزور بالقنابل العنقودية، بدوره استهدف الطيران الروسي حي العمال في المدينة بالقنابل الفوسفورية، ومحيط المطار العسكري ومدخل المدينة الجنوبي وسط إصابات متفاوتة بين المدنيين.

من جهة ثانية استمر تنظيم داعش بقصفه أحياء الجورة والقصور الخاضعة لسيطرة النظام بدير الزور بقذائف الهاون، ما تسبب باستشهاد سيدة وطفلها، وكان القصف على فترات متقطعة، ما جعل الأهالي يغتنموا الساعات الهادئة لنصب بعض الألعاب بالشوارع لممارسة طقوس العيد مع الأطفال بشكل بسيط تحت مراقبة شديدة للأصوات وحالة رعب وترقب رُسمت على وجوه الأطفال. على صعيد آخر قام تنظيم داعش باعتقال ثمانية من عناصره بتهمة مضايقة الأهالي باسم التنظيم، وأعدم في ريف دير الزور شخصين من أمنييه ومعهم شخص ثالث مجهول الهوية دون معرفة الأسباب.

انفجرت سيارة من نوع /أنتر كولر/ تابعة لتنظيم داعش بالقرب من معبر قرية البغيلية في ريف دير الزور الغربي أثناء نقلها، وكانت معدة للتفجير بقوات النظام، كما واستهدف الطيران الحربي قرية حطلة بالريف الشرقي بغارتين ولم ترد أنباء عن إصابات في صفوف المدنيين، والطيران الروسي بدوره استهدف حي الموظفين ومحيط جسر السياسية الخاضعة لسيطرة داعش ومزارع البانوراما على طريق عام دير الزور دمشق بعدة غارات.

من جهة ثانية لا يزال طريق عام دير الزور الرقة مقطوعاً في المنطقة الواصلة بين قريتي العنبة والمسرب في ريف دير الزور الغربي بسبب استهدافه من قبل الطيران الحربي الروسي، وتعمل آليات تابعة لتنظيم داعش على إصلاحه.

بينما تشهد جبهات القتال داخل المدينة وأطرافها هدوءاً حذراً مع استمرار قصف مدفعي من مدفعية النظام المتمركزة على الجيل المطل على المدينة مستهدفة منازل المدنيين بمناطق سيطرة داعش.

وعلى صعيد آخر تغيب أجواء العيد بمناطق سيطرة النظام حيث يتخوف الأهالي من استهداف أي تجمع للأطفال والمدنيين، مستحضرين قصف داعش السابق لمركز الهلال الأحمر، تخوفاً من وقوع مجازر ثانية، وبالمقابل أصدر داعش بمناطق سيطرته قراراً وفتوى بمنع زيارة قبور الشهداء تحت طائلة الاعتقال والغرامة في ظل غياب كامل لأجواء العيد داخل المدينة وريفها.

الطريق إلى جرابلس..
قصة التحرير الثاني

عبد القادر ليلا

بعد عملية درع الفرات التي اشترك فيها الجيش التركي مع فصائل من الجيش الحر، تم طرد تنظيم داعش منها، وكانت فرصتنا للذهاب إلى هناك، دخلنا المدينة ظهراً، كانت مظاهر الخراب بادية، ابتداءً من مبنى الجمرك السوري إلى عدة أبنية حكومية كالجوازات إلى بيوت مجاورة، حيث استخدمت كمركز للقناصة.

الحياة في المدينة شبه معدومة إلا من بعض المارة على عجل، تجمع حولنا الأطفال عندما بدأنا توزيع أعلام الثورة، كانوا حفاة شبه عراة، الفقر يطحن أجسادهم الهزيلة. أطفال من عمر عشر سنوات لا يعرفون القراءة والكتابة، بل لا يعرفون شيئاً اسمه مدرسة، ثمة مجموعة من النساء متشحات بالسواد، وبصحبتهن عدة رجال بملابس رثة، ووجوه بائسة وحزينة، يصطفون أمام شاحنة توزع الطعام. ألقيت نظرة على المعونات، كانت عبارة عن مطبوخ الرز مع حبوب الحمص، كان الطابور طويلاً بطول سنوات الصبر التي عانى منها هؤلاء الأهالي. مدينة جرابلس مدينة العقيد أبي فرات (الشهيد يوسف الجادر) التي انتفضت مبكراً على نظام الأسد وطردته من مدينتها، كانت تتطلع إلى سوريا ديمقراطية وحرة، يسودها السلام، ولكن في لحظة من التاريخ غدر بها الصديق قبل العدو، دخلتها جحافل تنظيم داعش، وجثمت على صدور أهلها قرابة ثلاث سنوات، فقتلت من قتلت، وشردت من شردت، وهجرت من هجرت. لم يبق في المدينة إلا الفقراء الذين لا يملكون من حطام الدنيا شيئاً، فوقعوا تحت رحمة التنظيم المتطرف يعضهم الفقر ويقتلهم الرعب. جدران المدينة مطلية باللون الأسود، مكتوب عليها شعارات تمجد تنظيم داعش (الدولة الإسلامية)، وتمجد زعيمها ورجالاته، ولا يخلو الأمر من بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على الجهاد وقتال الأعداء.

الرجال ما زالت لحاهم طويلة، وسراويلهم مشدودة الإزار. سألت أحدهم: لماذا لم تحلق لحيتك؟ قال: وهل تضمن لي أن داعش لن يعودوا مرة أخرى إلى جرابلس؟! لقد عادوا ودخلوا إلى بلدة بالقرب من جرابلس بعد أن دخلتها قوات حماية الشعب (الحماية الكردية)، وقتلوا 42 شخصاً من أهلها بتهمة الردة.

وأما النساء فما زالت براقعها وملاءاتها على أكتافها، أيضاً نفس الخشية. أما ما تم عرضه على التلفزيون من مشاهد النساء وهي تحرق النقاب، وتشرع سيكاراتها ما هي إلا دعاية بغرض إعلامي للاستثمار أمام الغرب قامت به قوات الحماية الكردية. المدينة مقطوعة عنها المياه منذ 15 يوماً بداية العمليات العسكرية لدرع الفرات، أما الكهرباء المقطوعة أصلاً إلا من المولدات فقد قام التنظيم بحرق المولدات المتبقية لتغط المدينة في ظلام دامس.

حين تتجول في أسواق المدينة لا تجد غير تلال من الدخان عند الباعة بعد طول حرمان، وبعض باعة المحروقات على زاوية الطرقات، وقليلٍ من باعة الخضار أو ما تسمى اصطلاحاً خضار، وهي لا تشبه في حقيقة الأمر بقايا نباتات ممعوسة وذابلة. أما الخبز فتلك قصة أخرى، حيث اشتكى الأهالي لنا أن الخبز نادر الوجود، وذلك لخروج أغلب الأفران عن الخدمة، وفقدان مادة الطحين والوقود والطاقة.

عندما حلّ الغياب حاول الأهالي الاستعجال إلى بيوتهم قبل أن يحل الظلام.. وجوه الناس تائهة وحزينة محبطة خاصة أنه التحرير الثاني.. فماذا ينتظرهم في قادم الأيام تلك الاسئلة لا يوجد من يجيب عليها.

إرضاء الناس غاية لا تدرك..!

عنتر دعيس

قالت العرب: «إرضاء الناس غاية لا تدرك»، والغاية تجرك أحياناً كمفردة تعريف إلى اللانهاية ويبدو أن هذه الحقيقة واحدة من المآلات البعيدة، وهذا المثل ينطبق على أناس يعيشون في ظروف عادية، فكيف إذا كانت الظروف استثنائية، وكان هؤلاء الناس لاجئين..؟!

اللاجئ تعريفاً هو شخص مفرد أو مجموعة تركت ديارها إما بحثاً عن أمان افتقدوه أو غادروا وطناً غصباً إلى مكان آخر، وبدأوا حياة جديدة بمكان جديد.. في الحالة السورية غادر ما يقارب ستة ملايين إنسان ديارهم، انتشروا في دول الجوار بدءاً من لبنان والأردن وتركيا وانتهاء ببلاد بعيدة، أوروبا وكندا وأمريكا، وربما توزعوا بكل مكان في العالم وقاراته، هرباً من بطش النظام والميليشيات الطائفية أو حتى هرباً من بعض فصائل المعارضة التي تسببت دون أن تعلم بتهجير بعض من هؤلاء، وتوزع المهاجرون من كل مكونات الشعب من عرب وكرد وأرمن، من مسلمين ومسيحيين، والبعض اعتبرها فرصة لتأمين حياة عند الغرب كانت مستحيلة قبل الاضطرابات والأحداث التي عصفت بالبلاد، وساقت كثيراً من السوريين إما إلى الحرب والاقتتال أو إلى المعتقل أو الموت، خيارات محددة أمام السوري الذي اختار أن يترك البلد حفاظاً على عياله وماله وحتى كرامته في حياة أفضل ومستقبل معقول ينتظره في قادم الأيام.. الحرب التي دمرت البلد وساقت إليه كل الأغراب لاحتراب طويل أدى لقتل أبنائه ودمار بنيته التحتية، وأبنية السكن ودور العبادة والمستشفيات والمصانع وغيرها..

وطالما عرفت كثيراً من اللاجئين السوريين في تركيا، وهم بغالبيتهم لم يتسنَ لهم الإقامة في المخيمات التي أقامتها الدولة التركية، وقامت بتأمين مستلزماتها إلى حدود معقولة، ولكن معظم اللاجئين يحتاجون إلى كثير من المتطلبات، نظرا لارتفاع أجور السكن إضافة إلى مبالغ كبيرة يدفعونها لقاء خدمات الكهرباء والماء والهاتف

والنقل وغيرها، وهذه الخدمات تتناسب مع دخل المواطن في تركيا، والذي يصل إلى حدود الـ800 دولار شهرياً، وهو رقم لا يستطيع اللاجئ تأمينه، إذا اعتمد على مبالغ محولة من قريب في الخليج أو دخل من آجار محل أو منزل تركه خلفه، أو راتب من سوريا، وهكذا أصبحت الحياة بالنسبة لغالبية اللاجئين السوريين صعبة، وربما في بعض الأحيان مستحيلة بواقعها الحالي، لذلك اعتمد السوريون على أبنائهم في المهجر إن وجدوا أو حتى على أنفسهم في تقديم خدمات على هيئة أعمال بسيطة أو افتتاح مشروع صغير كمحلات البقالة والمطاعم والمقاهي، أو غيرها، كما اعتمد معظمهم على كثير من المنظمات الخيرية من خليجية وتركية وغربية..

في أورفه تتعدد موارد اللاجئ، بعضهم يحصل على موارد مالية نقداً أو بطاقة مول أو مواد مباشرة كالسلال الغذائية، وكلهم غير راضين عن أداء تلك المنظمات، التي يحصلون منها على الإعانة، ويعتبرون عمالها مقصرين، والبعض ممن لا يحصلون على شيء يعتبرون هذه الجمعيات والمنظمات عبارة عن حرامية وعالمكشوف، يعطون أقاربهم وأصدقاءهم والمحسوبين عليهم، والبقية فقط يتحسرون ويبحثون عن طرق مهما كان شكلها للوصول إلى مكاتب هذه المنظمات والجمعيات دون جدوى، لأن مكاتبها سرية، وكأنها دوائر مخابرات أو مقر سري لمنظمة إنسانية عملها الأساسي خدمة الناس، ولكن يبدو كثرة النقد والشتائم دفعتهم إلى السرية في عملهم باستثناء الإحصاء والحصر، فهم ينتشرون يحصون ويسجلون و»عالوعد يا كمون» كما يقول المثل الشعبي.. لذلك أصبحت مسألة إرضاء الناس هنا مستحيلة.. اللاجئ أصلاً مهجر ومكسور الخاطر، وربما تعرض إلى ظروف غير عادية، ومواقف وجع وألم استدعت منه أن يخاف ليس من المستقبل فقط إنما من الساعة القادمة فهو يعيش حاضره فقط بكل ما فيه، يضحك وهو يعرف أنه سيبكي بعد لحظة أخرى لذلك هو حذر ومتوقع الضرر بأشكاله وهو يعلم علم اليقين بأنه عندما غادر بلده فقد كرامته وكيانه، وأصبح في مهب الريح، وهو يؤمن بأنه قد ترك كل ما يملك هناك على أسوار حدود بلده وأهله..

القصف يخطف بهجة العيد من أبناء ريف حمص.

حمص - مهند البكور

جاء عيد الأضحى حزيناً بالنسبة للسوريين الذين فقدوا مدنهم وهجروا منها قسراً، كان أبرز من هجر قبيل عيد الأضحى أهالي داريا التي عرفت أيقونة الثورة والتي قصفت بأكثر من 9000 برميل متفجر.

آلاف السوريين يمضون عيد الأضحى لعام 2016 في المهجر، والذين هجروا قسراً من منازلهم ومدنهم هم من خرجوا خوفاً من القصف والدمار، عيد يملأه الشوق للوطن على حد وصف «قمر» وهي فتاة سورية خرجت منذ بداية عام 2013 إلى دولة لبنان»، تقول قمر: «نحن هنا في لبنان، ننتظر في كل لحظة أن تهدأ الأوضاع لنعود إلى بلدنا، هذا هو العيد الثالث وأنا بعيدة عن وطني، بعيدة عن أهلي، صار الوقت لكي نرجع ونفرح، هنا في الغربة العيد ليس له طعم، يا أخي العيد والفرحة في حمص غير شكل، حتى إن كانت بين الدمار، نريد أن نعيد ببلدنا».

عيد يملأه الشوق والحنين، مئات آلاف السوريين في البلاد المجاورة لسوريا يعتصر الألم قلوبهم، يرون وطنهم، لكن لا يستطيعون الذهاب إليه، لآن آلات القتل السورية تنتظرهم لتنهي حياتهم بغارة جوية أو بقذيفة أو رصاصة جندي أقسم ذات يوم على حمايتهم.

في داخل الحصار، داخل عاصمة الثورة كان العيد السادس خلال الثورة السورية أشد أعيادها حزناً، الشوارع خالية، وساحات اللعب تبكي على أطفال يخشون من الاقتراب، خطر الموت يتربصهم ببرميل أو قذيفة أو غارة من طيار لا يعرف جنسيته إن كانت سورية أو روسية أو أمريكية، كان أول أيام عيد الأضحى لهذا العام مؤلماً في شمال حمص، حيث قام الطيران الحربي باستهداف عدة مدن في الريف الحمصي، مستخدماً القنابل العنقودية، وكان للطيران المروحي دور فيه، حيث نفذ عدة هجمات بالبراميل المتفجرة التي فجرت منازل المدنيين، وأسقطت عشرات الجرحى وطفلاً شهيداً في الرستن الحمصية.

أما ثاني أيام الهدنة ضمن الاتفاق الروسي - الأمريكي كانت، ولأول مرة منذ أعوام، أجواء سوريا عامة وحمص بالتحديد خالية من هدير الطائرات، سماء حمص خالية من سحب الدخان السوداء، شوارعها خالية من الدماء، كانت الشوارع والطرقات العامة خاوية على عروشها، الخوف يسود الأهالي إلا أن الهدوء الحذر كان يسود جبهات المنطقة، خرج الأهالي للاستمتاع بالعيد متحدين النظام وأعوانه، متحدين روسيا وطيرانها، مرّت ثاني أيام العيد بلا قصف ولا جرحى ولا شهداء. يقول «محمد» شاب حمصي من الحولة: «يا أخي هذا الهدوء ما عاجبني لأنه الهدوء الذي يسبق العاصفة بعيدين عن أي عيد عم تحكو ما في عيد عمي العيد لصحابو شلون بدنا نفرح وعنا معتقلين، شلون بدنا نفرح وعنا شهداء، الهدنة خففت من حدة

الألم شوي بس هل يا ترى رح تصمد الهدنة ولا متل غيرا»، سؤال يطرحه محمد كغيره من أبناء سوريا، هل سيسود الهدوء سوريا دائماً من دون الأسد أم أن هذا الاتفاق هو من أجل إعادة تنظيم صفوف قوات الأسد؟ سؤال إجابته وصلت لمن طرح السؤال من خلال الهدن السابقة التي كانت تساعد الأسد بعد أن ينهكه الثوار ولا يستطيع التمسك بالأرض، يفتعل مثل هذه الهدن ليعيد تنظيم صفوفه ثم يخرقها مجدداً.

الحرملي

رسائل السوريين إلى تركيا..!

(1)

تنتشر في أغلب المدن التركية، وخصوصاً مدينة أورفا، ظاهرة بيع وتداول الأدوية السورية في المحلات التجارية والمراكز الطبية والصيدلانية السورية. أحد الأطباء حذر من المتاجرة بهذه الأدوية وبيعها للسوريين، لأنها على الغالب مصنعة في تركيا، وتحديداً في معامل صغيرة، أشبه بالدكاكين التي تعمل خارج حدود الرقابة الطبية، ويتم تسويق هذه المنتجات على أنها مستجلبة من سوريا، أو أن أغلبها منتهية الصلاحية. في بقاليات أورفا تستطيع الحصول على حبوب للصداع، وحبوب منع الحمل، وشراب ميدران وميمازين نقط وبيبي كالم وهذه الأخيرة هي أدوية للأطفال، وهي مسحوبة من الأسواق السورية منذ عام 2005 وغير متوفرة في سوريا مطلقاً، أو إن كانت بعض هذه الأصناف متوفرة في سوريا فهي في تركيا على الغالب منتهية الصلاحية، وهناك أدوية مصنعة في إسرائيل، كانت تدخل إلى سوريا من خلال المنافذ الحدودية الأردنية واللبنانية، كمسكن الصداع «ريللي»، الذي له تأثيرات جانبية لا يحمد عقباها، وقد تم سحب جميع العينات لهذه العلامة التجارية من الأسواق السورية في عام 2011.

الطبيب السوري الذي نشر هذا التحذير، طالب بمنع تداول هذه الأدوية التي لا تخضع للرقابة الطبية اللازمة، وأن يتوقف من يتاجر بهذه الأدوية عن إلحاق الأذى بالسوريين، الذين يتعرضون للموت المجاني على أيدي القتلة والمأجورين في كل مكان، داخل سوريا وخارجها.

بدورنا نأمل من الإخوة العاملين والمتاجرين بهذا المجال التوقف عن إيذاء السوريين إن كان عن قصد أو غير قصد، ونطالب الجهات الرسمية في تركيا، ملاحقة كل من يخالف الأنظمة والقوانين المتعلقة بالصناعة الدوائية والمتاجرة بها.

(2)

قبل أن يحمل جثمان شقيقته من المشفى 500 في أورفا، طلب منه العاملون في المشفى مبلغاً وقدره 150 ليرة تركية أجور غسل وتكفين شقيقته، وقبل أن يخرج من جامع المقبرة الكبير، طالبه الإمام بدفع مبلغ وقدره 200 ليرة تركية أجور الدفن، رد عليه المواطن السوري: يا شيخ على أساس الدفن مجاني للفقراء والمعوزين، وأنا لاجئ سوري تنطبق عليه هذه المواصفات، رد الإمام: يا أخي ادفع 200 ليرة، ودفعها صديقنا اللاجئ صاغراً، بعد أن اقترضها من أحد أصدقائه المشيعين.

لبلدية أورفا الكبرى، رسالتنا الثانية، أرجو أن تعمل على إعفاء السوريين من هذه الرسوم، وإلا سينطبق علينا المثل «فوق الموتة عصّة قبر».

الحرملي

«يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي»

انتقلت إلى رحمته تعالى «تماضر عبد الله المهاوش» التي وافتها المنية في مدينة شانلي أورفا التركية بتاريخ 2016/9/8 إثر مرض عضال، ودفنت في مقبرة صرين في أورفا.

أسرة صحيفة الحرمل تتقدم من الزميل «عروة المهاوش»، شقيق الفقيدة، ومن آل الفقيدة وعموم آل الحسون في الرقة بأحر التعازي، سائلين المولى العزيز القدير أن يجعل مثواها الجنة، وأن يلهمهم جميعاً الصبر والسلوان.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

حصاد الحرمل في سنتين

عصر يوم الأربعاء 2014/10/1 وفي الزقاق رقم 14 من محلة أتاتورك، في مدينة شانلي أورفا التركية القديمة، وفي شقة متواضعة، محولة من دكان كبير، لا يدخلها النور إلا من بابها، وضعها الدكتور محمد الحاج صالح تحت تصرفنا، احتفلنا بصدور العدد رقم 1 من مجلة الحرمل، التي استلمنا أعدادها للتو من مطبعة «يلماز» التي لم نكن نعرف غيرها.

كان بعضنا قادماً حديثاً من الرقة، هارباً من النظام، ومن جحيم التكفير والحدود المجانية، مخلفاً تجربة «ائتلاف أبناء الرقة»، أول تجمع مدني بعد التحرير، فيما جاء البعض الآخر حاملاً معه مجلة «منازل» إحدى أبرز التجارب الصحفية للثورة في الرقة، بينما كان الأقدم مجيئاً أولئك الذين ودعوا مجالسهم المحلية المعطلة، ونشاطاتهم الإغاثية الملاحقة، أو خرجوا حديثاً من سجون الجهاديين والنظام، إلى فضاء الحرية باحثين عن استكمال مشروعهم السياسي.

تلقف الأستاذ يوسف دعيس فكرة الأخ محمد معن الصليبي المشرف على بيت الرقة لكل السوريين في أورفا، الذي يترأسه الأستاذ محمود الهادي، بخصوص إصدار صحيفة تكمل نشاطات البيت المدنية، ووضع قائمة باثني عشر اسماً، لكتاب وإعلاميين وسياسيين رقيين، شكلوا فيما بعد هيئة التحرير ومجلس الإدارة للمجلة المبتغاة، وأوكلت إليهم المهام التالية: ماجد رشيد العويد - رئيس تحرير، يوسف دعيس: مدير تحرير، أسعد فخري وإبراهيم العلوش: القسم الثقافي، خلف الجربوع: القسم السياسي، محمد الحاج صالح: هيئة تحرير، عروة المهاوش: القسم الصحفي، إياس دعيس: مصور، عبد الرحمن الهويدي: فني تصميم، مصطفى السليمان: المحتوى الفني، محمد الصليبي: علاقات عامة ومهام إدارية، ثم التحق فيما بعد عبد الفتاح الراكان، معبد الحسون، وعبد القادر ليلا بهيئة التحرير، وأنيطت بي رئاسة مجلس الإدارة، وأوكلت إلي مهمة وضع الإطار القانوني والتنظيمي للمجلة.

ومن بين مجموعة من الأسماء المقترحة: «فاصلة»، «لا»، «الحرمل».. أسماء أخرى، تم التوافق على «الحرمل» واعتماده اسماً للمجلة، وتم وضع الإطار القانوني والتنظيمي، والسياسة العامة للمجلة بعد الاتفاق على أدق التفاصيل، التي يمكن إيجازها بالتالي: (مجلة الحرمل، مجلة سورية مستقلة غير ربحية، ثقافية سياسية نصف شهرية، تؤمن بقوة الثقافة بمواجهة ثقافة القوة، وترفع شعار «الحرية دائماً».

والحرمل مشروع ثقافي، يستهدف كافة السوريين، ويلبي احتياجاتهم للمعرفة والخبر، ويعمل على نقل معاناة السوريين، وتعميق الوعي الثقافي والسياسي، ونشر مبادئ الديمقراطية وقيم الحرية والدولة المدنية).

لم يكن التوافق على شعار «الحرية دائماً» صعباً، فكلنا طلّاب حرية، ولكن التوافق على تخصيص مساحة للكتابة بالتركية، وكتابة شعار المجلة، إضافة للعربية باللغة التركية، استغرق الكثير من النقاش والمعارضة، من باب التحرز والحذر، خشية المساس بهويتنا الوطنية ومبادئنا السياسية، غير أن منطق التعريف بمبادئنا وأهدافنا للوسط الذي نعيش فيه، والتعرف على أفكار الأتراك، ومواقفهم تجاه قضيتنا، تغلب أخيراً، وتم التوافق على كتابة (Her Daim Özgürlük) الحرية دائماً بالتركية إلى جانب العربية.

لم نكن نمتلك مالاً كافياً، وليس لدينا جهة مانحة، ولكننا كنّا نؤمن أن «الإدارة الحسنة خير من الدخل الجيد».

ولم نكن نمتلك لوجستيات العمل الصحفي، ولكنّ كمبيوتراً واحداً نصف فعال، يعود للأستاذ خلف الجربوع، تسانده اثنتا عشرة إرادة، كانت كفيلة بإنجاز هذا المشروع الثقافي، واستمراره حتى العدد /48/ الذي يكمل مسيرة سنتين من عمر المجلة.

ولم نكن نعرف الكثير من الأتراك، ولكن سرعان ما التفّت حولنا النخب الثقافية والسياسية في أورفا وعلى رأسهم الأستاذ ويسل بولات رئيس الصحفيين في أورفا، وساهموا بإخلاص بدعم هذا المشروع واستمراره.

المشروع الذي استقطب أكثر من مئة كاتب وشاعر عربي وتركي، وخمسة وعشرين قلماً نسائياً، وتمت تغطيته إعلامياً من قبل وكالة الأناضول، والتلفزيون التركي، والصحف التركية.

كما تم توزيع المجلة في أكثر من 300 نقطة توزيع في تركيا والداخل السوري المحرر.

وعندما سألني أحد الصحفيين الأتراك عن سبب إقبال المثقفين السوريين على إصدار الصحف، قلت له: السبب هو إدراك أهمية الإعلام بعد مصادرة نصف قرن من قبل النظام السوري لكل وسائل التعبير، إضافة إلى أن النزوع إلى الحرية، وتاريخ طويل من العمل الصحفي جزء من تكوين وثقافة المواطن السوري، ففي الوقت الذي كان يصدر في لندن 12 صحيفة عام 1946 كان في دمشق 28 صحيفة من أشهرها: «المقتبس»، «الشعب»، «المضحك المبكي»، «ألف باء»..

وربما أن ما قيل من أن الكتابة قد تكون في الغربة وطناً، لا يجانب الصواب بالنسبة -على الأقل- لنا معشر المشتغلين بالأدب والثقافة، ولكن في النهاية لا شيء يصلح بديلاً عن الوطن، ولا مكان في العالم مثل الوطن، فهل ستصدر الحرمل قريباً من سوريا..؟!

رئيس مجلس الإدارة
بسام البليبل

أقلام حرّة

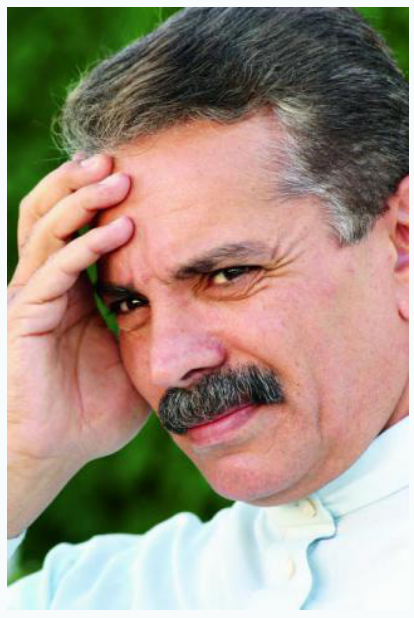

عبد العظيم إسماعيل

ا

ماذا تفعل النوارس إن ضاق بها فضاؤها، وتنسّر عليها بُغاثها، وكثر عليها المتربّصون لقتلها؟ ماذا تفعل الأقلام الحرة إن حُطمت أصابعها، وصار مدادها دماً؟ ماذا تفعل الأفواه المطالبة بأدنى حقوقها إن كُمّمت حتى الاختناق؟ ماذا يفعل وطن إن تحوّل إلى مزرعة خاصة لثُلّة من العلق تمتص الدماء بلا ارتواء؟

أليس من حقهم جميعاً أن يشعروا بإنسانيتهم التي جُبلوا عليها أحراراً؟

في زمان القمع والديكتاتوريات، وكبت الأنفاس ووأد الأحلام، تصبح هذه الأمور من المحرّمات، ومن يتعدّى ما فُرض عليه يصبح خبراً محذوفاً، ورغم كل ذلك أبت النفوس الحرة إلّا أن تعبّر عن حبّها وانتمائها لأرضها حتى لو دّفنت حية في رحمها لتكون بذرة حب ووفاء لأجيال قادمة ولن تتأخر بالمجيء

نفوس وفية لسمائها حتى لو تلبّدت بأشد الغيوم حلكة، وعاثت فيها طيور الظلام فساداً، وأمطرت من يتجرأ على النظر إليها بنيران غدرها وبحمم حقدها.

نفوس وفية لحقول القمح المروية بماء فراتها، وبعبق ياسمينها وشذا نرجسها، وأصص الفل المزينة الشُرُفات على عموم الوطن.

نفوس كلها وفاء لذكرياتها المطلة من قاسيونها، والمُثلجة للصدر من ماء فيجتها، والشامخة كعمود مرجتها، وبخطواتها الأثيرة في صالحيتها ودبلانها، وتللها، ومنصورها، وساحة نواعيرها، والراقصة طرباً فوق جسرها المعلّق الذي يئن موليّة مع صفصافها.

نفوس أبت إلّا أن تحمل ما استطاعت من ذكريات لا تنسى، وهي تغادر أرض وسماء أجمل ما خلق الله من أوطان، لكنها غُمست ببحر من الآلام وعُمّدت بالنابلم، مصحوبة بصراخ الأطفال المفزع، وعويل النساء الثكالى وقهر الرجال.

2

من بين براثن الموت، وأزيز الرصاص، وهدير الدبابات، ووقع براميل الموت الأعمى، كان لابدّ أن يتنكّب أصحاب هذه النفوس الحرة الأبية أقلامهم متحمّلين نتائج اختيارهم، بكل جرأة وشفافية، وببعد تام عن أي أجندات وارتباطات مشبوهة، لا همّ لهم إلّا كشف الحقائق، وأن يكونوا لسان حال المواطن المقهور، والمعبرين عن همومه وتطلعاته من أجل وطن حر لكل أبنائه مهما اختلفت مشاربهم وإثنياتهم وأديانهم، فالوطن يتّسع للجميع. فالوطن ليس مزرعة لأحد، والكل راحل، والباقي الوطن.

ترفع لكم أقلام الحرمل القبّعات احتراماً لمصداقيتكم، ولاختياركم الحرية الصعبة في ظروف ضغط واغتراب وهموم لا حصر لها، على أن تكونوا أبواقاً في حرية مزيفة تحت حذاء عسكري لامع.

الحرمل والمشي على الجمر

عصام حقي

في الهند والصين وبعض دول شرق آسيا يمارس الفاكير (الدراويش) المشي على الجمر الملتهب فيتحملون بأقدامهم النار المتلظية ويواصلون السير أبداً، وهي ممارسة تتطلب الكثير من الإيمان إلى جانب الكثير من العلم والمعرفة..

ويرى بعض المحللين (أن المشي على الجمر يثبت أن باستطاعة الإنسان القيام بأعمال تبدو مستحيلة، بتبديل الشعور بالخوف إلى قوة عقلية خارقة تتغلب عليه).

ويرى بعضهم الآخر أن (هذه الممارسة وسيلة للتغلب على المعتقدات التي تفيد بأن قدرات الإنسان محدودة).

من هذه المقتبسات رأيت أن مهنة الصحافة في الأزمنة الصعبة لا تقل هولاً وخطراً من المشي على الجمر، وأنها تحتاج إلى كم عظيم من التحمل والصبر ومواجهة الصعاب.

وليست الحرمل وهي تطفئ شمعتها الثانية إلا نموذجاً من قهر المستحيل والمشي على النار المتلظية، ولعل في اسمها (الحرمل) الكثير من الدلالة على ما نذهب إليه، فكما أن الحرمل نبات ينمو في الصحراء متحملاً قسوة الصحراء وحرارتها العالية، وينطوي على منافع طبية للإنسان.

فقد نبتت الحرمل المجلة في رمال صحراء الغربة والقهر والخوف من دوائر تدور، وأعداء متربصين بالكلمة الحرة، كتربصهم بالإنسان ورغبته في الانعتاق من قيود الاستبداد والعبودية.

مرت سنتان ونخبة من الأصدقاء الأعزاء من مثقفي سورية عامة والرقة خاصة أقدموا على المشي على الجمر، والخوض في هذه التجربة، فانطلقوا وكانوا أهلا للانطلاق، وكانت معهم ولادة الحرمل.

انطلقوا وهم يدركون الصعاب التي ستعترض طريقهم ويستهينون بها في زمن لم يعد فيه أحد محصناً بقانون أو عرف أو شريعة.

انطلقوا عزلاً إلا من سلاح الإيمان بأهمية الكلمة إلى جانب البندقية، وسلاح الثقافة والمعرفة والثقة بأن الثورة بحاجة إليهم، كحاجتهم إليها..

فكانت الحرمل لسان الثورة الناطق بالحقيقة في ظلمات الباطل، وقلم الصدق في ديجور الكذب اللامتناهي في أنفاق القتلة المجرمين.

وكنت من بعيد أتسقط أخبار الحرمل وأسرتها الكريمة، وتتناهى إليّ أخبارهم التي لم تكن سارة على الدوام، فمن تهديد بالقتل إلى اعتداء بالسرقة، إلى اغتيال بعض زملائهم وأصدقائهم في أكثر من حادثة مروعة.

هذا إذا تركنا جانباً الصعوبات المادية مالياً من جهة، ومناخياً من جهة أخرى وبخلنا نحن الأصدقاء بالمادة الصحفية من جهة ثالثة..

كنا نحن في الشتات نخجل أمام صبرهم ونعظّم صمودهم وشدة تحملهم، ونكبر إصرارهم على الاستمرار ومواصلة السير على الجمر!

كفى بهم شجعاناً جادين أنهم كانوا حريصين على صدور المجلة نصف الشهرية بكل حلتها القشيبة الزاهية ومضمونها الثوري دون إبطاء أو تأخير مذ تعرفت عليها للمرة الأولى، إنهم كانوا يخاطبون الجميع طالبين العون والمساندة بالمادة الصحفية، بل يبشرونهم بالروابط والإعلان عن صدور عدد جديد من أعدادها ليحققوا الاستمرار والتواصل والصداقة الحقة مع الجميع.

ختاماً أخاطبهم بالقول: أيها الماضون على جمر الصحافة الملتهب، الصابرون على وجع الحقيقة سقيا لكم، ومباركة جهودكم، وكل عام أنتم بخير، ووطننا إلى خير بإذن الله، وكأن الشاعر النبهاني كان يقصد نفوسكم بقوله:

فإن تكن الأيام فينا تبدّلت
ببؤسى ونعمى والحوادث تفعلُ
فما ليّنت منا قناة صليبة
ولا ذللتنا للذي ليس يُجمل
ولكنْ عهدناها نفوسا كريمة
تُحمّل مالا يستطاع فتحمل

الحرمل.. ومذاق الصبر المرّ

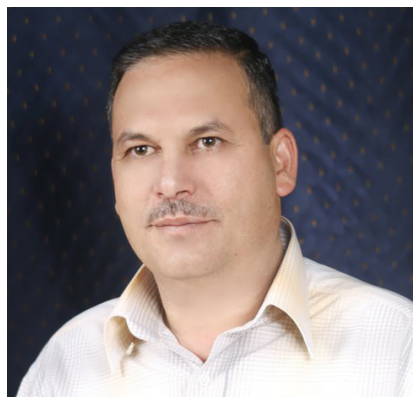

إبراهيم العلوش

لا أعرف لماذا توافقنا على تسمية صحيفتنا باسم الحرمل، هل لأننا كنا حديثي عهد باللجوء، وكنا نتنبأ بلا شعورنا مرارة الحياة التي تنتظرنا، أم أننا كنا نستشعر سلفاً المرارة في التعامل مع البعض بمواقفهم الاستعلائية، والاعتباطية، التي تستخف بجهود الآخرين مهما كانت جدّية وعمليّة مثل تجربة الحرمل!

اليوم وبعد مرور عامين على صدور الحرمل وبلا أي انقطاع، وبعد القبول، والاعتراف بها من قِبل من كانوا متعالين على وجودها، وكانوا يعتبرون أنفسهم مرجعية مطلقة، لا مرجعية بعدها من قبل ولا من بعد، أزاحت تقلبات الأحداث الزيف والتكبر، وأبقت الجديّة والصدق اللذين انتهجتهما الحرمل من تاريخ صدورها الأول حتى اليوم، قدر الإمكان!

لا نقول إن التعامل بين بعضنا البعض كانت تنقصه المرارة، ولا التقلب والمزاجية في كثير من المواقف، ولكننا بالصبر استطعنا أن نمرّن أنفسنا على تحمل بعضنا بعضاً، وغفران أخطائنا بين بعضنا البعض!

الحرمل تجربة واقعية، وعمليّة، ولها ما لها، وعليها ما عليها، وقد لا ترضي الكثيرين، ولكن العمل واستمراره ومحاولة تطويره هو هدف الصحيفة، وهدف كادرها المتمرمر بالمعاناة الشخصية والعائلية وظروف حياة اللجوء، وكذلك المتمرمر بالتجاهل من قبل أصحاب الإمكانات الثقافية والفنية والاقتصادية، الذين يتطلبون الكثير ويتعالون عن الفعل والمساهمة بتطوير العمل، وتخفيف معاناة كادر الحرمل التي تصل إلى عدم القدرة على دفع آجار المنزل ناهيك عن إطعام العائلة، وأجور المواصلات!

حياتنا مرّة مثل كل اللاجئين السوريين، ولكن لا خيار لنا غير الاستمرار مهما كانت عواقبه وتبعاته، ولكن القادرين على المساهمة بالتطوير وبالدعم ويستنكفون، يجعلون معاناتنا أكثر مرارة بكل أسف، وأذكر مرة أن أحدهم اتصل من الخليج يعاتب كادر الحرمل لعدم إعطاء فلان أجور مواصلات ناسياً نفسه بأنه لم يبادر بأي مساعدة جديّة للصحيفة التي يغار عليها!

الحرمل صحيفة برسم الأجيال الجديدة التي ما تزال مستنكفة عن المساهمة الفنية والصحافية فيها، وكذلك النساء المتعلمات والمثقفات اللواتي استسلمن لمواقع التواصل الاجتماعي، ولا يعذبن أنفسهن بالكتابة عن معاناة السوريين في بلاد اللجوء أو في الوطن، ويدحرجن الزمن بالنميمة وتبادل الإشاعات، وعدم تحمل المسؤولية الثقافية والإنسانية، مثل الكثيرين من المتبطلين على مواقع التواصل الاجتماعي.

نفتخر بكتّاب وبكاتبات الحرمل، وبالمثقفين الغيورين على نشر المعرفة الحقة، وطرح الأسئلة التي قد تصل بنا إلى مخرج يوقف هذا الدمار، وهذا الخراب والتطرف المعتوه الذي حلّ في بلادنا، ونعتبر مساهماتهم هي حجر الأساس في هذا البناء الثقافي والصحفي المصرّ على الاستمرار.

وكذلك جمهور الحرمل ومتابعيها هم رأسمال صحيفتنا، ومثار فخرنا بهذا العمل، إننا نشعر بالفرح والاعتزاز بكل رسالة تصلنا أو تسأل عن مادة، أو اصدار، أو تنتقد موضوعاً، أو تسأل عن أحوالنا، ونشكر الشخصيات التي كانت متكفلة بالكثير من الدعم الذي ساعدنا كثيراً، والبعض منهم استنكف عن ذلك لشواغل حياته أو ظروفه، ولكننا ما نزال ننتظر أسماء جديدة للكتابة لنا وللمساهمة في جهود استمرار الحرمل الثقافية والصحفية والفنية والمادية، ونرجو ألّا نُترك لأهواء بعض الجهات الداعمة التي تحاول احتكار الحرمل وتسويقها لحساب فلان أو علان أو لصالح تلك الدولة أو هذا الحزب.

الحرمل هدفها هو الحرية دائماً.. وتحاول ألا تكون تابعة لأحد رغم ترنح أحوالها، وصعوبة حياة أفراد كادرها الذين يعانون الأمرين في تركيا.. فهل تتوحد جهودكم مع جهودنا لإبقاء مسيرة صحيفتكم الحرمل مستمرة رغم المرارات الكثيرة التي تعاني منها!!

كُحلٌ يجلو الرّمد

د. سماح هدايا

مثلما ينبت الحرمل في الأرض متقوّياً على الظروف القاسية ليكون نباتاً غنياً بالفائدة؛ نمت وتجذّرت في المشهد السوري الجديد مؤسسات سورية معارضة، حرصت أن تحمل رسالة ذات مغزى في الحريّة والثقافة وتنمية الوعي السياسي والمعرفة والعقل، على الرغم من شظف العيش وقسوة الظروف ونزاع الأفكار والمصالح المتضاربة وطغيان التوحّش الغوغائي. مجلة الحرمل واحدة من هذه المؤسسات. هي مطبوعة مهمّة في المسائل التي تعالجها من دون تصنّع وتكلّف، وواعدة؛ لأنها تعمل بإخلاص ومهنيّة وفق قيم عالية، تنهض بفكر عميق يحترم القلم ويعمل بجديّة للوصول إلى مستوى إعلامي مرجعي.

في اطلاعي على الوسائل الإعلامية والجرائد والمجلات التي رافقت مسير الثورة السورية، وحملت عنوان الإعلام الجديد، يظهر المفيد والمهم والجريء والرصين الذي يتبنّى ميثاقاً أخلاقيّاً. وهناك، أيضاً، التجارب المغرضة المرتبطة بولاءات وأجندات عابر، وهي على الأغلب لن تصمد طويلاً، كمرجع إعلامي؛ لأنها تفقد المصداقيّة والأمانة. وهناك التجارب التي ظلت في إطار التجريب، خصوصاً، تلك التي تبصر الأمور من منظور الوجبة السريعة الجاهزة، فلم يرتق خطابها لمتطلبات المرحلة وجديتها وفضيلة المسؤولية.

أجد أن الحرمل تحمل مستوى عالياً من احترام الذات والقلم والموقف وعقل الإنسان الذي تخاطبه. كان يمكن للحرمل أن تستمد من مدلولات اسمها مفعول الضرر وتحمل سوداوية السحر الشعبي المغري في شكله اللامع، المؤذي في باطنه الفاحم؛ فتنتشر انتشار النار في الهشيم لدى العقل الشعبوي؛ لكنّ الحرمل كما يبدو من طبيعة منشوراتها ومضمون عملها، أنها تبصّرت واستوحت من اسمها الفائدة والمنفعة والإصلاح، ورأت أن تعمل في هذا المسار الصعب الجميل، وتتحمل المسؤولية الإعلاميّة الثقافية الثقيلة فتلتزم بالمعرفة المخلصة للمعرفة ولعقل صانعها..

لم تبدأ الحرمل من عهود. بدأت حديثاً. وأمامها الطريق لتتألق منارة إعلاميّة وثقافيّة فريدة، خصوصاً في ضمانة فريق عمل مجتهد ومخلص وحكيم.

بالتوفيق وإلى مزيد إنارة «وقل ربي زدني علماً».

.. وثالث الشمعات في وطن حرّ

مازن عليوي

ربما شكلت في جوهرها نافذة ضوء لأصحاب الكتابات المبدعة والأفكار الواعية ومن يحملون نظرة جادة للحياة.. هكذا هي «الحرمل»، ولعلها قدمت على مدى عامين تجربة حقيقية لمفهوم الإخلاص للعمل الثقافي الفكري الحر الذي افتقدته الساحة الصحفية السورية طوال سنوات الحصار المخابراتي والرقابي على مختلف وسائل الإعلام الداخلية.

«الحرمل» انطلقت لتكون نافذة لكل الأطياف التي يجمعها وطنٌ يلمّ التيارات النقية كلها، التيارات المترعة بعشق الأرض، التيارات المؤمنة بأن الوطن للجميع وليس لفئة تستأثر بخيراته وقراراته ومقدراته، وتمارس السطوة على الآخرين.. وعلى هذا الأساس يجب أن تبنى الأوطان وتكون، أما أن يستمر الخلل الذي بدأ قبل حوالى أربعة عقود ونصف العقد فهو ما بات مرفوضاً، خاصة بعد أن استيقظ الشعب وبدأ ثورة ستحقق حلمها، وإن تناهبتها جماعات أو وقفت بوجهها دول وميليشيات داعمة للنظام المتمسك بالسلطة وكأنها إرث أو «دكان».

وإن كان «الحرمل» كنبات يستخدم علاجاً للأجساد، فإن حرملنا الرقيّة ولدت لعلاج العقول، ولتطلق صرخة تطوي المسافات البعيدة، تمثل الوعي بأعلى درجاته، ولذا رسمت بصمتها على الرغم من قلة الإمكانات الداعمة، لكن الدعم الفكري والإنساني كان أقوى، وعليه تابعت المسار كنقطة مضيئة مع إضاءات أخرى نظيفة تعد على الأصابع، في ظلام يعم المنطقة. في «أورفة» التركية أوقدت «الحرمل» قبل عامين شمعتها الأولى، وها هي اليوم على أعتاب سنتها الثالثة، والأمل يعرش فيها وفينا بأن يرحل الطاغية، ويرجع الوطن مستقراً بلا «دواعش» أو جماعات أصولية نهبت ثورة شعب آمن بالحرية وخرج من أجلها، ولأن إرادة الشعب دائماً أقوى بحسب كل حكايات التاريخ الواقعية، فالأمل سيصبح واقعاً، لكن متى؟

ثمة مؤشرات تقول إن النهاية ليست بعيدة، فما صنعه النظام ليدعم بقاءه انعكس عليه، فلا «داعش» نفعه ولا ما شابهه قادر على ذلك، ولم تفده طهران وأذنابها، وموسكو وصواريخها بل كبّلته أكثر.. وتفاقم الوضع سوءاً في العالم، وتخطى الإجرامُ الذي سهّل النظام السوري وجوده حدودَ الدول والقارات، ما يعني أن الأذى سيدوم طويلاً إن لم يحدث تحرك جماعي دولي عاجل لإنهاء الأزمة، ولأن كثيراً من دول العالم طالها الأذى، فالتحرك الدولي للمساهمة في الخلاص ليس بعيداً.

وعليه، تراودنا أمنية بأن نحتفل - بما في الكلمة من معنى - بالشمعة الثالثة لـ«الحرمل» في الرقة كجزء من وطن كبير محرر بأكمله، لتتابع طريق النور الذي بدأته، ولتكون أعدادها منذ تأسيسها وثائق مرجعية مهمة تشهد على مرحلة أليمة من تاريخ سوريا، فـ«الحرمل» لم تكن مؤدلجة وإنما شمولية ذات مدى اتسع الجميع، ومن هنا اكتسبت أهم مقومات استمراريتها.. والأكيد أنها بجهود المخلصين سوف تضيء شمعات أخرى كثيرة في الأعوام المقبلة في وطن حرّ لا يهيمن عليه الطغاة، مؤكدة أنها أنفاس كل سوري، وأنها يومٌ وغدٌ ومستقبل.. وحلمٌ مطرز بعبق الحرية.

أحلامنا التي لاتموت

أن تكون من هذي البلاد، أن تحملَ عبء انتمائك إلى أرضها عندما يدير العالم ظهره لها. أن تكون من هذي البلاد، يعني أن ترعى أحلام أهلها، ترقب نموها رغم الخوف والقهر في ظلال الحريّة.

أن تكون من هذي البلاد، أن تملك الأحلام التي تستحق أن تُعاش، هي ذاتها الأحلام التي ستكون الغد، وهي كل ما تملكه البلاد وأهلها لتؤثث الآتي بها.

- هل ما زال الحلم ممكنًا؟

- نعم، ما زال على الرغم من كلّ ما حدث. وحدها الأحلام عصية على أن تطالها أسلحة العالم وجيوشه، الأحلام التي تنمو بماء الحريّة لا يمكن أن تقدر على حبس أريجها زنازين القتلة وسياط جلاديهم، الأحلام التي ترفعنا كلما انهارت قناعاتنا، هي التي تربت على أكتافنا كي لا يأخذنا الوجع إلى ضفة المجرمين وشذاذ الآفاق، لكنّ النتيجة التي تستطيع أن تعالج الجراح التي أحدثتها الأسباب المتراكمة هي أن نتمسك بالحلم، أن نوثّق قدرتنا على الحياة بالحلم. وأن نثبت أيضاً جدارتنا به.

عامٌ إثر آخر، يزداد الواقع همجيّة وقسوة، تنهار قناعاتنا التي بنيناها وفقاً لمعطيات هزيلة لا تكفي لننتظر الغد، العالم يرتكب بحقنا كل الجرائم التي عرفها التاريخ، ليس آخرها القتل، وليس أوّلها التهميش وتجاهل نداءاتنا. العالم الذي يجرّب تغيير كلّ شيء بنا وعلينا، يصنع الأعداء في أروقة المؤامرات ويرسل إلينا ما يعزز نفوذ جهة على حساب أخرى، ولا أحد يسأل السوري إن كان له رأيٌ في مصيره.. عام إثر آخر والحرب تطحن كلّ ذكرياتنا وتفاصيل أيامنا في المنافي، والحرب هي الساحة التي يغيب فيها صوت العقل؛ لتصحو ثارات لا تومئ بخير.. هل ما زال الحلم ممكناً؟ من يريد قتل حقّنا في الحلم؟ هل هذا كلّ شيء؟ الموت!

كلّ ماتقدمه الحرب ورجالاتها هو الموت، كل ما يفعله السلاح هو القتل، كل ما يرتكبه تجار الدم هو فتح أقنية من أوردتنا لتصب في مصارف الشر... لكنّ الحلم قوّة أكبر من الحرب ومن رجالاتها. الحلم الذي يصنعه الإيمان بحقنا في أن نعيش أحراراً كما يليق بإنسانيتنا التي لا يوفّر العالم وأنظمته فرصة لتشويهها، وتحويلنا إلى وحوش لا تحلم ولا تسعى لتحقيق الأحلام...

هنا وفي الحرمل التي أكملت عامها الثاني يفتح الرقاوي نافذة للحلم، نافذة للتحدي، نافذة للتمسك بالحياة حين الموت يخيّم على كلّ شيء. عامان ومجلة الحرمل بيت لكل الرقاويين، تأخذنا إلى حيث يجب أن نكون، عندما تعلّمنا أن الحلم حقّ مثل بقية الحقوق التي ضمنها ميثاق الأمم المتحدة للإنسان وتخلّى عنها. تأخذنا إلى الخطوة الأولى في طريق تحقيق الاحلام حين تذكرنا أنّ الإنسان هو ذاكرته، تأخذنا إلى حيث الصرخة الأولى «حرية»، إلى حيث الهتاف الأول «الموت ولا المذلة»، إلى حيث المكان الذي يتسع لكل السوريين كما تتسع قلوب الرقة المعطاءة «واحد واحد الشعب السوري واحد»

كان لي شرف المشاركة بنشر مجموعة من المقالات والنصوص الأدبية في مجلة الحرمل، وقد تلقيت كل احتفاء وتقدير من هيئة تحرير المجلة، ولا يسعني سوى أن أشكرهم جميعاً على الفرصة التي منحتني شرف التواصل مع قراء المجلة من أهلي وأبناء محافظتي الرقة وأبناء وطني سورية. وكما أقول دائماً: النشر في مجلة الحرمل واجب وحق: واجبٌ لأنّ مشاركتي هي امتداد لصوتٍ حرّ يرفع اسمي إلى قائمة الأصوات التي لا يمكن أن تقول «نعم» عندما تكون «لا» هي الحرية، وحقّ لأنّني مثل كل الرقاويين الأحرار في مجلة الحرمل وفي كل مكان، نحلم بسورية التي هي للجميع، سورية التي لا تستثني أحداً من أبنائها، سورية التي لا تعرف الإلغاء ولا الإقصاء ولا التهميش أو التجاهل، سورية التي لا يقتل فيها السوري أخاه نصرة لآلهة الطوائف،

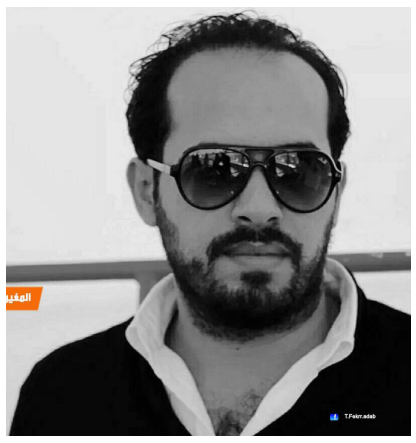

المغيرة الهويدي

ولا يقتل فيها السوري أخاه انتصاراً لنفسه وأبناء قوميته، وهل هنالك للسوري من قومية أحلى من أن ينتمي لهذه الأرض؟ سورية التي ليست ملكاً لأحد وإنما نحن رعيتها وأملاكها...

سورية الديمقراطية الموحّدة المستقلة، سورية الحرّة، سورية الحلم... سورية التي هي للجميع.

الرقة والفرات والحرمل

خالد خليل

كثيرة هي الصحف والمطبوعات التي انطلقت باسم مدينة الرقة بعد تحريرها من قوات نظام الأسد، منتصف عام 2013، إلا أن حظ مجملها كان عاثراً حال المدينة التي عانت من التهميش المزمن والمستمر. إحدى أهم الوسائل الإعلامية الوليدة بعد الثورة، والتي حملت على عاتقها أن تكون صوتاً لأبناء الرقة هي صحيفة «الحرمل»، صحيفة ورقية نصف شهرية، كانت انطلاقتها من مدينة شانلي أورفا التركية، المدينة التوأم للرقة على الجانب التركي. قبل عامين صدر العدد 1 للحرمل، يحمل شعار «الحرية دائماً»، على يد أشهر أقلام الرقة وأدبائها، بجهدٍ تطوعي، والتزام أخلاقي وعضوي منهم تجاه مسقط رأسهم وملعب مراح طفولتهم «الرقة» تلك المدينة التي كانوا يسكنونها، وباتت تسكنهم الآن يحملونها في قلوبهم ويكتبون عنها في منافيهم القريبة منها والبعيدة، باتت مكتظةٌ بهم الآن كما كانوا مكتظين بها بالأمس، يتألمون لها ومن أجلها يقرؤون رسائل السلام والحنين.

الرقة معشوقة الفرات الأزلية!

تلك المدينة الصغيرة الغافية على كتف نهر الفرات ومعشوقته الأزلية، كانت حاضرة الإنسان القديم الذي زرع الحنطة على ضفاف النهر القديم المتجدد. التقت المدينة مع النهر عند تغيير الأخير مجراه شرقاً، ولا يُعرف هل كان تشريق النهر حباً بهذا المدينة؟ أم أن سكانها الأولون هم من اختاروا هذا المكان لتنام مدينتهم على كتف النهر المعطاء العظيم؟

مرّت المدينة عبر عمرها الطويل بأحداث تاريخية كان الفرات شاهداً على ازدهارها حيناً، وخفوت وهجها أحياناً. أما في العصر الحديث والقريب جداً، كان للسد (سد الفرات) الذي أُنشئ إلى الغرب منها عامل ازدهار للمدينة وأبنائها الذين يعمل جلّهم بالزراعة، وجعلها إضافة إلى ما فيها من ثروات نفطية سلة اقتصاد سوريا الأهم. فقد كانت الرقة معطاءة كما نهرها الخالد تعطي من دون مقابل، ولطالما اشتكى أهلوها التهميش حالها حال أغلب المدن في سوريا التي كانت تسمى سورية الأسد، باسم عائلة نهبت دونما شبع، وأخرجت سوريا عن سياقها الطبيعي والحضاري وحتى الجغرافي.

ومع اندلاع الثورة السورية في منتصف مارس/ آذار 2011م سجلت الرقة حضورها العلني وريادتها، وإن بشكل متواضع، حيث خرج أبناؤها في مظاهرات طيّارة يهتفون للحرية وإسقاط حكم الأسد، رغبةً منهم في العيش بكرامة في وطن يكون للجميع. لم تتأخر الرقة عن ركب الثورة كما يصوّرها، للأسف، الإعلام المحسوب على الثورة. كما لم يستطع النظام استمالة المحافظة أو محاولة إظهارها بأنها تحت عباءته.

مشاركتها الأبرز تجلّت في الذكرى السنوية الأولى لانطلاق الثورة 2012م، عندما أبهرت الرقة شاشات الإعلام بمظاهرات حاشدة، درجت العادة على تسميتها بالمليونية نظراً لمشاركة الغالبية العظمى من أبناء المدينة وريفها في تشييع أول شهيد لهم، في مشهد مهيب سرَّ الصديق وغاظ العِدى كثيراً. هكذا دخلت الرقة الثورة من أوسع الأبواب، ولكن استمر حال التهميش وهذه المرة من قبل الإعلام المؤيد للثورة، وكأن هذا قَدرُها المحتوم.

بعد عامين من ذلك التاريخ كان أهل الرقة على موعد آخر مع الحرية، ولكن هذه المرة بقوة السلاح، بعدما أجبرتهم دموية نظام الأسد ووحشيته الذي رفع شعار لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، فأجابوه الأحرار «للحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يُدق».

بالفعل حرر الجيش السوري الحر المدينة من قوات النظام لتكون الرقة بذلك أول محافظة سورية محررة، وأُطلق عليها – حينها- «عاصمة الحرية».

ولكن، يا فرحة لم تكتمل فلم تدم أعراس الحرية أشهر قليلة، ولم يهنأ الثائر بعَروسه الحرية. فقد تسللت عصابات الرايات السود لتخنق المدينة التي نَسيها الجميع، وفي مقدمتهم الأخ والصديق، لتغرق في عزلتها حسبها أنها والنهر جارها تكمل العمر معه رفقةً متلاصقين إلى الأبد، لا يضرّها التهميش الذي لطالما اعتادت عليه في أيام «الفَضية».

شهرة سوداء

تمرُّ سنة أخرى، فينقلب حال المدينة رأساً على عقب من مدينة كان السوريون حتى أمس القريب يعتقدون أن لا عمران فيها، وأن أهلها يسكنون «بيوت الشعر»، إلى مدينة مشهورة طبقت شهرتها الآفاق.

وباتت لا تغيب عن خطابات أكبر رأس في العالم (أوباما)، بينما راح وزير خارجية روسيا البوتينية يستعرض للجمهور درايته وخبرته بحارات الرقة وأزقتها من حارة البدو وشارع تل أبيض.

كما يقال شر البلية ما يضحك، فيا لها من شهرة سوداء! فلم تضمر الرقة الشر لأحد ومع ذلك ألبسوها ثوباً أسود (عاصمة الإرهاب) لتكون حجة من لا حجة له، وهدفاً لمن يريد أن يشفي غليله أو يحسّن صورته أو يصفي حساباته مع أعدائه أو حتى من يريد أن يستعرض رجولته أمام زوجته. كل هذا وأكثر اختاروه للرقة، درة الفرات ومعشوقته الأجملُ، دونما أن يكون لأبنائها دور في ذلك. وألّفوا عنها القصص والأقاويل على مقاسهم، وقتلوا أهلها دونما هوادة ودونما سبب. ولم يسمعوا لصوت أنينها وكأنها خُلقت لتدفع ثمن حماقات هذا العالم فقط.

كما يَلحظ قارئ صحيفة الحرمل، ذات النفس الثقافي أكثر من كونها صحيفة خبرية، عظمة قصة الحب التي تجمع مدينة ونهراً. بدوري تشرفتُ بالكتابة في العديد من إصدارتها، وأبهرني استقطابها لأهم وألمع الكتّاب. ولا أبالغ في القول، حينما أقرأ صفحاتها أتذكر مجلة العربي تلك المجلة الثقافية الرائدة.

الحرملُ شاهدٌ على معاناة مدينة، لم ترثها قصيدة ولم تنصفها الأقدار، يحكي لنا أن نهراً عظيماً غيّر مجراه صوب مدينة وقعت هي بدورها في غرامه، فلا الفرات يَفنى ولا الرقة كما تصفون، ستستحمُّ بدموع نهرها العاشق. وأنتم الزائلون لا محال، وهي الباقية ما بقي الفرات.

Harmal..

Veysel Polat

İlk olarak bir iftar sofrasında duymuştum 'Harmal'ı.

Dostumuz Şükrü Kırboğa, iftarı beklerken "Suriyeli meslektaşlarınız var burada. Birlikte bir gazete çıkarmaya başladık. Sizleri tanıştırsam.." dedi.

Tanıştık Suriyeli meslektaşlarımızla.

Harmal vesilesiyle..

Harmal'ın kelime anlamı nedir diye sormuştum.

Bizdeki Üzerlik bitkisinin çiçeğine Arapça'da verilen isimdi.

Harmal; Üzerliğin sarı çiçeği..

Üzerlik'in bizim toplumumuzda derin anlamı vardı. Tütsü yapıldı üzerlikten.. Darlıktan, sıkıntıdan, başağrısından ve cümle kötülüklerden arınmak için evin ortasına kurulan sacın üstüne "Bismillah" diyerek bir tutam üzerlik serpilirdi.. Kokusu doyunca çekilsin diye de sacın başına oturtulan hastanın üzerine örtü gerilirdi.. Şifa olsun, şerler – kötülükler uzaklaşsın niyetine.. Üzerlik geleneksel Urfa hayatının her yerindedir.. Duvarlarda yılın 12 ayı asılı durur.. Sıkıntılara, başağrılarına, cümle şerlere karşı..

Harmal işte böyle bir şeymiş..

Bessam bey, Ekrem bey, İbrahim bey başta olmak üzere Harmal ekibinde yer alan Suriyelilerle tanışınca, büyülü bir kapı açıldı.. O kapıdan girince Suriye ve hayatın, dünyanın çıplak gerçekliğiyle karşılaştık..

Doktor Abdullah ve Beyt Suriye, Beyt Rakka, Fevziye Hanım.. Bunların etrafında yüzlerce Suriye aydını, sanatçısı, önderleri..

İşgale uğrayan vatan topraklarını terk etmek, hicret etmek zorunda kalmış ama ayakta duran insanlar..

Suriyenin kurtuluşu, yeniden doğuşu üzerine Özgür Suriye bayrağı altında bir araya gelmiş insanlar.. Her şeyini arkada bırakarak geldikleri Urfa'da, tüm yoksunluklarına rağmen gözleri ve gönülleri vatan topraklarında..

Kurtuluşu, özgürlüğü ve Yeni Suriye'yi konuşuyorlar..

Konuştukça, dinledikçe derin bir hüzün kaplıyor yüreğinizi..

Kelimelerimiz aynı, duygularımız aynı, acılarımız aynı, kaygımız – umudumuz aynı.. Suriyeli dediğimiz bir elmanın diğer yarısı.. Halep, Rakka, Haseki.. Mardin, Diyarbakır, Gaziantep'ten uzak değil Urfa'ya, Urfalıya..

Kuvay-ı Milliye ile Urfa'dan çıkardığımız Fransız'ın süngüsüyle bölünmüşüz Rakka'dan – Halep'ten.

Yüreğimizin yarısı Urfa, yarısı Rakka – Halep..

Her görüştüğümüzde bir parçası tamamlanıyor yerel tarihin. Rakkalı bir gazetecinin dedesi, Osmanlının son Urfa tapu müdürü.. Urfalı bir arkadaşımızın dedesinden kalan köylerin ahalisi 100 yıl sonra "Suriye muhaciri" olarak karşısında duruyor..

Türkçeyle Urfa'da karşılaşan sevgili Rakkalı dostumuz, Çeçen ninesinin kızarak iş yaptığında Türkçe "İster istemez" diye söylenmesinin anlamını Urfa'da keşfediyor..

Efsunlu, tılsımlı bir romanı olur Harmal'ın etrafında yaşananların..

Tanışmaların, yardımlaşmaların, paylaşmaların, ayrılma-kavuşmaların, konuşulanların yada yaşanıp da konuşulamayanların..

İşin özeti ne diye sorarsanız, Harmal; ortak geleceğimizdir derim.

İstanbul'dan Bağdat'a, Şam'dan Kahire'ye.. Mekke – Medine'den Erzurum'a..

İzmir'den Beyrut'a, Urfa'dan Kudüs'e, Kerkük'ten Bursa'ya..

Umut çiçeğimiz, dermanımız, tılsımımız, tütsümüz.

Ciğerlerimiz, gönlümüz, gözümüz doymalı.

Güneşe çıkmalı, aydınlığı görmeliyiz. Cehalet, korku, kuruntu ve tüm endişelerden arınarak Hakk'ın, Hakikatın, Özgürlüğün ve Kardeşliğin tadını doyasıya çıkarmalıyız.

Tuna'dan Dicle'ye, Sakarya'dan Nil'e, Fırat'tan Meriç'e nice nehirlerimiz var..

Seyhan ve Ceyhan'ın ataları ata yurdunda..

Tarık bin Ziyad'ın, Alpaslan'ın, Selahaddin'in, Fatih'in çağıdır inşallah önümüzde duran..

Harmal, inşallah milyonlarca tohumuyla bu coğrafyaları temizleyecektir. Kan kokusundan, vahşetten, yarasalardan, akrep ve çiyanlardan..

Harmal, Suriyelinin birlik ve beraberliğidir. Suriyenin kurtuluşu, özgürlüğü ve yeniden doğuşudur. Bu kutlu doğuş inşallah bütün İslam aleminin silkinişi ve Dünyanın muhtaç olduğu adalet ve medeniyetin müjdecisi olacaktır inşallah..

Not: İşini yüreğiyle yapan ender insanlarımızdan, eski Şanlıurfa Valisi İzzettin Küçük'e, Türkiye'miz adına Harmal'a gösterdiği ilgi ve katkıları için gönülden teşekkürler.

الحرمل..

ويسل بولات

أذكر أول مرة سمعت عنها كانت على طاولة الإفطار، عندما كنّا ننتظر الآذان قال صديقنا شكري قارابوغا (الحرملي): معنا هنا زُملاء سوريون وسنصدر جريدة معهم، جريدة الحرمل، هل أعرفك عليهم؟!! وتعرفنا. في هذه الجلسة بوسيلة الحرمل، سألتهم عن معنى كلمة الحرمل أخبروني أنها الزهرة الصفراء لنبتت (اليوزرليك) الحرمل..

للحرمل مكانة معنوية مميزة في مجتمعنا الأورفلي، فإننا نصنع منه البخور، وننثره مع بسم الله في وسط البيت داخل صاج لنبعد الكرب والضيق وكافة أنواع الشر.

و بقصد الشفاء وطرد الشر والضرر نجلس المريض بجانب البخور المشتعل ونغطيه بأغطية ليستنشقه بملء صدره..

نجد الحرمل في كل مكان في حياة أورفا التقليدية، فنجده معلقاً طول السنة على الجدران لطرد الأمراض والكرب...

وعندما تعرفنا على السيد بسام والسيد أكرم والسيد إبراهيم وباقي أعضاء جريدة الحرمل فُتحَت لنا أبواب معبرة ومذهلة... وبعد دخولنا من هذا الباب وجدنا سورية والحياة وحقيقة العالم بِعُريّه...

الدكتور عبدالله والسيدة فوزيه وأبطال بيت الرقة والبيت السوري وحولهم المئات والآلاف من المثقفين والفنانين السوريين الذين أُجبروا على ترك ديارهم، وعلى الهجرة منها، ولكنهم وقفوا وصمدوا، فهم أناس اجتمعوا لإعادة بناء سورية تحت راية سورية الحرة.. بكل أحوالهم البائسة من الفقر وآلام ترك الديار، في مهجرهم أورفا نجدهم فقط يتحدثون عن خلاص سورية وطنهم، فقلوبهم تنبض مع وطنهم وعيونهم لا تبتعد عنه، عندما نتحدث يملأ قلوبنا حزنٌ شديد.. فنحن كلامنا واحد ومشاعرنا واحدة وأحزاننا واحدة ومخاوفنا واحدة وآمالنا واحدة، فالذي نقول عنه سوري هو نصفنا الآخر... حلب والرقة والحسكة ليست بعيدة عن ماردين وديار بكر ولا عن أورفا ولا عن الأورفلي، قُسِّمنا بفعل الاستعمار الفرنسي الذي طردناه من ديارنا أثناء حركة المقاومة القومية.. ولكن حُرِمنا من رقتنا وحلبنا، فنصف قُلبنا أورفا والنصف الآخر رقة وحلب..

في كل لقاء لنا نجد جزءاً ضائعاً من تاريخنا المحلي، فمرة نجد أن جد صحفي رقاوي كان مدير الأراضي في ولاية أورفا زمن العثمانيين، وصديق أورفلي أخبرنا أن جده كان يملك قُرى في سورية من 100 عام، واليوم وَجَدَ أهالي تلك القُرى مُهجرين في أورفا، وصديقٌ سوري آخر أدرك ما كانت تُتمتمهُ جدته (الشيشانية) وهي غاضبة وهي تقوم بأعمال البيت (إيستر إيستماز) في تركية بمهجره عندما اطّلع على اللغة التركية هنا...

الحرمل وما نجد فيه من لقاءات وصداقات وأحاديث وتسامر وتعارف وسير وفُراق ولقاء، وبكل القصص الشفاهية المروية وغير المروية، كأنها حكاية سحرية (أو مسحورة)...

تسألون ما المغزى من كل هذا؟!! سأقول: إن الحرمل هو مستقبلنا المشترك من اسطنبول إلى بغداد ومن الشام إلى القاهرة، ومن مكة والمدينة لأرزروم، ومن إزمير وبايبورت وأورفا إلى القدس، ومن كركوك لبورصا... وهي زهرة أملنا ودواؤنا.

يجب أن تشبع قلوبنا وأرواحنا، يجب أن تخرج للشمس وأن ترى النور، يجب علينا التخلص من الجهل والتجرد من كل أوهام الخوف، ويجب أن نعيش الحريّة الحقيقية والإخاء بملء صدورنا. من التونة لدجلة ومن سكارية للنيل ومن الفرات لميرج كم نهر نملك!!! أجدادنا على ضفاف سيحان وجيحان هم في أرض الأولين.. وإن شاء الله هذا الزمن الواقف أمامنا زمن طارق بن زياد وآلب أرسلان وصلاح الدين ومحمد الفاتح...سيكون مستقبلنا.

إن شاء الله الحرمل ببذرته سينظف أوطاننا من روائح الدماء، وسيطرد رجس الأفاعي والعقارب والخفافيش..!

El-Harmal Gazetesi 48. Sayıya Ulaştı

Eyyüp Azlal

Suriyeli yazarların Urfa'da çıkardığı El-Harmal gazetesi 48. sayıya ulaştı. Gazetenin ilk sayılarında Gap Gündemi gazetesi genel yayın yönetmeni Veysel Polat beyin ricasıyla Türkiye Yazarlar Birliği Şanlıurfa Şubesi adına bir heyetle bu dostlarımızı ziyarete gitmiştik. O zamanlar sanırım gazete daha onuncu sayısına ulaşamamıştı.

El-Harmal gazetesi, savaş öncesinde Rakka'da baro başkanlığı yapan kıymetli dostumuz Bessam beyin yönetiminde çıkıyordu. Gazete, Suriye'de devrimi destekleyen ve demokrasisi ilerlemiş avrupa ülkeleri gibi bir yönetimin iş başına gelmesini istiyordu.
Bu yüzden sadece Arapların çıkardığı bir gazete değildi. Suriyeli Türkmenlerin önde gelen temsilcilerinden Ekrem Dede gibi tanınmış simalar da vardı bu gazetede. Hatta Bessam beyin beyanıyla Suriye'de demokratik bir yönetimden yana olan Suriyeli Kürtlerle de işbirliği yapıldığını ve gazete haberlerinde onlara da yer verildiği ifade edilmişti. .
Daha sonraları iki toplantı daha yaptık El-Harmal gazetesiyle. Son toplantımızda somut adımlar üzerinde durmuştuk. Türkiye Yazarlar Birliği olarak gazetenin bir sayfasının Türkçe çıkması üzerine karara varmıştık. Türkiye'de çıkan bir gazetenin ne yazdığını bizim buradaki aydınlarımız ve halkımızın da bilmesinin daha faydalı olacağı düşüncesindeydik.Bir hafta gazete merkezinde bir hafta da Türkiye Yazarlar Birliği Şanlıurfa Şubesi merkezinde ortak sohbetler yapmaya karar verildi. Misafirlerimiz olan Suriyelilerin Urfa'daki örf ve adetlere göre hareket edilmesinin uyum süreci açısından önemli olduğunu düşünüyorduk. Somut olarak son işbirliğimiz Harmal Gazetesi yazarlarına Türkçe dersi verilmesini üstlenmiştik. İstanbul Üniversitesi Dil Merkezi ile görüşme yapmış ve Dil Merkezi başkanı Dr. Mehmet Yalçın Yılmaz beyin de desteğini almıştık.
Yazarlar Birliğinde Suriyeli Yazarlar ile yaptığımız bir toplantıya Haliliye Kaymakamımız Yusuf Ziya Çelikaya bey de teşrif etmişlerdi. Kaymakam bey, bu faaliyetimizi öğrenince çok sevinmişti. Kendisinin de kaymakamlık olarak bu projeye destek vermek istediklerini söylediydi. Ve ilk etapta İstanbul Üniversitesinden Yabancılar için Türkçe Öğretim Setinden kitapları alıp bizlere teslim etmişti. Ben de bu hayırlı projede Suriyeli yazarlara Türkçe Kursu hocası olarak kendime görev yazmıştım. Haftada iki gün olan Türkçe kursumuzun bir günü Prof. Dr. Abdülkadir Karahan Kütüphanesinde diğer günü de El-Harmal gazetesinde icra ediyorduk. Bu kursu ücret almadan yapıyorduk. Türkçe Kursumuz başlayalı bir ay olmuştu. Gazete ise ikinci ayına girmişti. Haliliye Kaymakamımız Yusuf Ziya Çelikaya bey Urfa'nın görkemli konukevlerinden birinde bir akşam yemeği onurumuza vermiş ve yemeğe dönemin Şanlıurfa Valisi İzettin Küçük beyi de davet etmişti. Yemekte hem gazete hem de Türkçe kursu hakkında Arapça ve Türkçe olarak vali beye birifing verdik.Vali bey de El-Harmal'ın özellikle Türkçe sayfasınında devem etmesini destekleyeceklerini ve bu gazetnin Urfa halkı ile Suriyeliler arasında bir gönül köprüsü kuracağını ümit ettiğini belirterek gazetenin idare merkezinin bir yıllık kirasının valilikçe karşılanacağını ayrıca gazetenin bir yıllık baskı masraflarını da üstleneceklerini dile getirdi.
El-Harmal ilk sayısından bu güne özelde Urfa'da genelde Türkiye'de yaşayan bütün Suriyelilerin sesi oldu. Bizlere ve ülkemize de her seferinde teşekkür beyan eden yazı ve haberleri yayınladılar. Türkiye'de yaşayan Suriyelilere ülkemizin onlar için sağladığı ekonomik,sosyal, eğitim ve diğer alanlardaki haberleri ilk elden kendi vatandaşlarına duyurdular. Özellikle Türkiye ve Suriye bayrağı deseniyle hazırladıkları duvar saati, Türkiye ile Suriye'nin kaderlerinin birlikte çizildiğinin bir ifadesi olarak duvarımızda duruyor.

الحرمل في عددها الثامن والأربعين

الصحفيون السوريون في شانلي أورفا وصلوا بمجلتهم الحرمل إلى العدد /48/ فيما قمنا بالأمس القريب بزيارتهم في مقر صحيفتهم بمعية الأستاذ ويسل بولات رئيس تحرير «غاب غوندمي» وأعضاء نقابة الصحفيين في أورفا، ولم يكونوا قد وصلوا إلى العدد العاشر بعد. أولئك الكتاب المؤسسون للحرمل، كانوا بالأمس يباشرون هذه النشاطات في الرقة قبل الحرب، واليوم يصدرون صحيفتهم المناصرة للثورة السورية، والتي تتطلع إلى تكريس قيم الحرية والديمقراطية في سوريا بمساعدة بقية المكونات الاجتماعية من تركمان وأكراد، الذين كانوا جزءاً من الثورة السورية. وقد أجرينا اجتماعين مع الحرمل اتفقنا فيهما على تخصيص صفحة باللغة التركية، للتعرف على ماهية هذه الصحيفة وأهدافها، وتبادلنا اللقاءات في مقر كتاب أورفا تارة، وفي مقر صحيفة الحرمل تارة أخرى للتعرف على تقاليد وعادات البلدين.

فيما بعد أخذنا قراراً بإعطاء دروس في اللغة التركية لمحرري الحرمل، بالاتفاق مع رئيس مركز اللغات في إسطنبول د محمد يلماز، وقد بارك القائم مقام يوسف زياد جاليقاي هذه المبادرة، وقام بدوره بدعوة أسرة الحرمل بحضور والي أورفا عزالدين كوجك، الذي تعهد بتغطية طباعة الحرمل لمدة عام لأهميتها وباعتبارها الجسر الذي سيكون بين سوريا وتركيا.

صحيفة الحرمل منذ عددها الأول أصبحت صوت السوريين في أورفا وعموم تركيا، هذه الصحيفة لم تقصّر عن شكر تركيا حكومة وشعباً، ولم تتوانَ عن التعريف بالجهود التركية المتواصلة لمساعدة السوريين.

وفي الساعة التي أهدوها لنا التي تحمل العلمين السوري والتركي، كأنما كانوا يعبرون عن القدر المشترك لهاتين الدولتين.

من داخل السرب

الإسلاميون لا يريدون الاعتراف بأخطائهم.

غسام المفلح

بعض النقاشات التي تدور على صفحات التواصل الاجتماعي، تحاول التعرض لدور المعارضة السورية، وآفاق البحث عن حلول لأزمتها المتفاقمة. الملفت للانتباه أن أكثرية من يقوم بهذه النقاشات، والكتابة في وسائل الإعلام، هم سبب لما وصلت المعارضة السورية إليه. بالطبع لا يهم الأسماء في مثل هذه الحالة، بقدر ما يهم الحمولة الأيديولوجية والمعرفية لها. لا شك إن هذه النقاشات مفيدة وتغني وربما تفتح أفقاً جديداً. لكن ما يلفت نظري مراجعة قضية السلمية والعسكرة. بعد خمس سنوات يعود هذا الملف إلى النقاش! هل المشكلة كانت بثنائية السلمية والعسكرة؟ ذكرني هذا النقاش بآخر، ورشة فكرية أقامها الائتلاف منذ عدة أشهر. دار الحديث فيها عن تجربتي في المجلس الوطني والائتلاف. لكن لم نر نتائج هذه الورشة. ماذرني أيضاً أن 90% من الشخصيات الموجودة في تلك الورشة، والنقاشات المتواصلة حالياً، متواجدون منذ أول الثورة، في قيادة المعارضة وفي ورشات إصلاحها. بمعنى أننا أمام نفس الحمولة الأيديولوجية. دون أن نسمع نقداً ذاتياً لهذه الحمولة من أصحابها، للممارسات الأيديولوجية والسياسية لهم خلال الثورة. لا أتحدث عن الأسماء التي تشارك ربما للمرة الأولى في مثل هكذا ورشات ونقاشات.

علّنا نصل إلى نتائج تغير الواقع السياسي على الأرض، الغاية التي من أجلها يتم عقد مثل هذه الورشات والنقاشات. لم يقد معارض يساري أية عملية تسليح للثورة، حتى ولو كان مع عسكرة الثورة. ربما قام بعض الشباب الذين لا لون سياسي لهم!! بالمشاركة في هذه العملية، لكن بالمحصلة العسكرة بشكل عام تمت عن طريق رموز إسلامية الهوى والتوجه والتنظيم. العسكرة ظاهرة لا علاقة لها بظاهرة الجيش الحر. العسكرة أتت لتصفية الجيش الحر. هذا بالضبط ما قام به الإسلاميون على مختلف مشاربهم. العسكرة أيضاً قرار دولي، العسكرة خلق قوى بديلة إسلامية التوجه بالضد من الجيش الحر. الذي لم ينل دعماً يذكر إذا قارناه بالدعم الذي قدم لظاهرة العسكرة. لهذا يتم نقاش ظاهرة العسكرة والسلمية انطلاقاً من خلط واضح ومقصود. لأن الجميع يعرف أن العسكرة والسلمية ثنائية مزيفة، لم يكن لإحداها أن تنجح دون رفع غطاء أمريكا وإسرائيل وروسيا عن الأسد، خاصة أوباما. هذه الأصوات التي تريد تحميل مآلات الثورة وتحولاتها لطرف أي طرف، خارج التوحش والبربرية الطائفية الأسدية. معظم منتقدي العسكرة لم يشاركوا بالسلمية، بحجة أنها خرجت من الجوامع!! ملاحظة بسيطة لمنظري هذا الخلط تجد أصواتهم العالية ذات نزوع طائفي واضح، عندما أصروا أن يبقى الجيش يقتل السوريين، بحجة رفضهم لانشقاقاته. هؤلاء الآن يحيون هذا الجيش ويعتبرونه جيش الوطن الاسدي. من جهة أخرى أصدر جماعة الإخوان المسلمين بياناً مطولاً، عن رؤيتهم لوضع الثورة، والوضع الدولي ووضع المعارضة، المحوا فيه أنهم ربما يتخذوا قراراً بالانسحاب من المعارضة. ربما على غرار ما قاموا به عام 2009 بحجة العدوان على غزة وموقف النظام الاسدي. الآن ربما يلمسون من صديقهم التركي أن هنالك تحولاً ما، بذلك يستبقون الأمور، كعادتهم. مع ذلك حقهم لكن ليس من حقهم أن لا يقدموا صورة على ما قدموه خلال تلك السنوات الست تقريباً من عمر الثورة، أين أخطأوا وأين أصابوا؟ ورؤيتهم للمعارضة المتحالفين معها. لكن هذا أبعد ما يقوم به الإخوان بهذه المرحلة!! ولا بأي مرحلة كما أزعم. مطلوب من الإخوان المسلمين أن يقفوا وقفة صادقة أمام تضحيات شعبنا، وقفة ضمير قبل أي شيء آخر. أين أخطأوا وأين أصابوا، لماذا صوتوا للجربا وغير الجربا؟ لماذا تحالفوا مع كتلة الصباغ في الائتلاف مثلا؟ لماذا إصرارهم على إزالة أي ملمح سوري عن أي نشاط عسكري وحتى سياسي أحياناً؟ أسئلة كثيرة قبل أن ينظروا على خطأ المعارضة وإمكانية انسحابهم منها.

الثورة بين المشروع والمشروعية

إسماعيل خليل الحسن

يؤسس بؤس الواقع لمشروعية الثورة حين ترتجّ الأبواب على الحل وتنغلق المصاريع دون محاولة الخروج من الأزمة، ومن ثم تدفع الجهة الحاكمة بعنادها الأحمق التوتر إلى أقصى انفعالاته، ويخرج عن السيطرة عندما يصل مرجل التذمر الشعبي فوق مرحلة الغليان احتجاجاً على حالة انسداد الأفق أمام مطالبه المشروعة، في حين لو استجابت السلطة الحاكمة استجابة حقيقية لبعض هذه المطالب لكان ذلك كفيلاً بتأجيل الانفجار إلى حين من الزمن. لكن مشروعية الثورة شيء، ومشروعها شيء آخر، فإن بؤس الواقع يصيب بعدواه الثورة التي تفتقر إلى مشروعها الثوري، ولن يخفف الاطمئنان إلى قوة الحق وشرعية الخروج على الحاكم الظالم، من واقع البؤس والتآكل الذي يصيب الثورة ويقرض ساحتها بالثورة المضادة فيعود الانسداد من جديد بأشكال أخرى.

غياب المشروع في الثورة السورية جعلها عرضة للتمزّق وللتدخلات الإقليمية، ونمو الطحالب الفاسدة وتبدل الرايات وتعددها، فاتّكأ المحسوبون على قيادتها في أحضان مموليهم وأخذتهم الغفوة بينما عدوهم لا يكل ولا يمل للإيقاع بالثورة، ونصب الفخاخ لها حتى نجح بإدامة الأزمة بفضل مثابرته وتشبثه بمشروعه الذي أصبح له مناصروه في الساحة الدولية.

لقد خطف المسلحون باختلاف مشاربهم مشروعية الثورة حتى ظن البعض أن الحرب والثورة شيء واحد، بل يسفّه حامل السلاح ويستخفّ بالحراك المدني وناشطيه الذي لولا صمودهم الأسطوري في السنة الأولى من الثورة لما رأينا تلك البنادق والرايات، بل صار الملتحقون بالثورة وبعضهم خارجون من جسم النظام نفسه يميزون أنفسهم عن المعارضين بأنهم الثوار ولهم الحق بالتصرف بالثورة كأنها تركة قابلة للتصفية، وهم الذين يحملون في جيناتهم أمراض النظام ومكروباته وورمه السرطاني، على حين تحولت الساحة إلى مقبرة للثوار الحقيقيين مناضلين وإعلاميين شهداء لواجبهم المقدس. لقد لعبت التيارات الدينية دورها المرسوم لها وفق السيناريو المعد للثورة المضادة بتغليب اللون الديني ظناً منهم بأن استثارة الغرائز الدينية والطائفية كفيل بتحقيق حلمهم التاريخي بالوثوب على السلطة مدعومين بتدفق المال السياسي وتدفق المتطوعين الأجانب ومصلحة تجار السلاح بإطالة الأزمة، لكنها أسلحة ترتد إلى عنق حامليها ومستخدميها فانتصرت الأزمة، ولم تنتصر الثورة وشرع الوكلاء يفاوضون اليوم على تصفيتها.

انتهى المآل بالثورة لأن تصبح حرب مشاريع إن إقليمية أو دولية ومحلية في حين افتقدت الثورة حتى اليوم مشروعها الذي يدعم مشروعيتها ويضعها على سكة النصر، بدلاً من التلطي وراء ردود الأفعال فتحولت ثورة السوريين بذلك إلى مجرد أزمات كأزمة لاجئين وأزمة مخيمات وأزمة إغاثة وأزمة أوبئة ومرض وجوع، وصار المعارضون يكيفون سياساتهم وفق التفاهمات السرية التي يعقدها اللاعبون الكبار مع النظام السوري.

لقد أطلّت الثورة المضادة برأسها منذ أن أطلق الجولاني زعيم النصرة تصريحه بأنه بايع الظواهري زعيم القاعدة فتفرق مناصرو الثورة في العالم وتلبّسهم الحذر من اتجاهاتها وتلقف النظام ومناصروه هذا الخطاب ليغنوا به خطابهم المتهافت فتغلّبت لغة الموت، والموت المضاد وتوّجها النظام بثقافة التدمير مستغلاً حالة اللامبالاة الدولية بل البلادة والعدمية فأصبحت البقاع يباباً بلقعاً.

يقف الخطاب المعارض عند إعادة إنتاج النظام المركزي مع تلوينه بخطاب أجوف عن المواطنة متناسين أن الأزمة هي نتاج من جملة نتائج أفرزها النظام شديد المركزية، فالنظام المركزي لا يستطيع تقديم ضمانات حتى لنفسه إذ يستطيع ضابط مغامر أن يحتل العاصمة والإذاعة، ويعلن البيان رقم واحد فتذعن له البلاد، وبالجملة فإن الخطاب المعارض لم يطور نفسه وينفتح على التجارب اللامركزية ولم يطرح مشروعاً وطنياً لا مركزياً تحترم فيه التنوعات الثقافية والجغرافية باعتبارها كلاً منسجماً يغني ويغتني بالآخر.

أولئك الذين جعلوا من الثورة حرب جيوش ضد جيوش ودولة ضد دولة وأباحوا لأنفسهم احتلال القرى والأحياء والمدن، قفزوا فوق العلم الخاص بالثورات باعتبارها فعلاً شعبياً بالدرجة الأولى والحرب الثورية إذا كان لابد منها هي حرب عصابات تنهك الخصم وتضطره للتنازل ضمن إستراتيجية تخطط لها وتوزع أدوارها قيادة موحده سياسية وعسكرية تضبط إيقاعها، ولا تحصره في مناطق حاضنته الشعبية، فيخور وينهار بجملته فاقداً للشرعية الوطنية وللقوة التي توفرها له السلطة.

أما الثوريون الذين ترتفع معنوياتهم وتنخفض تبعاً لتصريح هذا الزعيم وذاك الدبلوماسي فهم ثوار موسميون آثروا الهجرة تاركين مجتمعهم نهباً لقوى الثورة المضادة والتكفير والتهجير والتدمير، ومنهم من يتلطّى خلف خطاب تخوين بعضهم البعض ظناً منهم أنه يعفيهم من مسؤولياتهم عن الشرذمة والتفكك والشللية، تفضحهم بذلك نضالاتهم الفارغة على مواقع التواصل الاجتماعي، فقد حان لكل هؤلاء تجديد خطابهم وأدواتهم النضالية بعيداً عن اليقينيات التي أصدأها الزمن، ولا بد لهم من التقاط اللحظة التاريخية لإنقاذ ما تبقى... إن كان في العمر بقية.

أصدقاؤنا.. الأمريكان

طارق عبد الغفور

في مقالٍ سابقٍ على صفحات الحرمل بعنوان التاريخ يعيد نفسه قلنا: إن ما جاء في بيان فكّ ارتباط جبهة النصرة بالقاعدة يُبيّن أنه لم يُفكّ، وقلنا: إن ما ورد فيه من إعادة التسمية بناءً على «توجّهات وتوجيهات» قيادة القاعدة المباركة لن ينطليَ لا على أمريكا ولا على روسيا.

وفي مقالٍ سابقٍ أيضاً وعلى صفحات الحرمل بعنوان لماذا الآن وماذا بعد الآن قلنا: إن النصر الذي تحقق في معركة فكّ الحصار عن حلب ما زال في دائرة الخطر، وإن هناك خشية من أن تكون معركة حلب كمعركة كسب، إذا لم تُتّخذ خطوات ذكرناها في ذاك المقال.

وقبل أن يعلن كيري ولافروف في مؤتمرهما الصحفي عن «اتفاقهما على سورية» قصفت أمريكا مقر اجتماع لجبهة فتح الشام وقتلت قائداً بارزاً فيها، وأعلن كيري في مؤتمرهما أن للولايات المتحدة الحق في ملاحقة القاعدة، وبسقوط حلب تحت الحصار ثانية واسترجاع النظام وميليشياته لما كانوا قد خسروه في معركة فكّ الحصار يكون قد تحقق ما قلناه في ذينك المقالين.

إن الإشارة إلى مواطن الخلل في تعامل قيادات الفصائل في ميدان المعركة عسكرياً وإلى تعامل قيادات الائتلاف في ميدان المعركة سياسياً لا يعني أننا نجلد ذواتنا أو أن لدينا الرغبة في ذلك، إنما هو تذكير بأن المسار يجب أن يتخذ منحىً مختلفاً لكي نصل إلى النتائج المرجوة، وإلا فإننا نطحن الماء، وعندما لا يأخذ المسؤولون العسكريون والسياسيون هذه الإشارات التي يرسلها المنتقدون بعين الاعتبار، ويظنون أنهم فوق النقد، وأن النقد الموجّه إليهم هو نقد للثورة ذاتها، فليس لذلك سوى تفسير واحد هو أن طحن الماء إنما يتمّ عمداً، وعليه فإن دفاع الإعلامي القدير موسى العمر عن هذه الفصائل ومناشدته منتقديها أن «يحلّوا عن ظهرها»، وينفي عنها الاتهام بأنها لا تملك قرارها، في حين تثبت الوقائع على الأرض صحته، لا يقوم على أساس صحيح، إذ لا يمكن الدفاع عن الخفة الظاهرة في تصريح مثل أنهم لم يستخدموا سوى 20% من قدراتهم في معركة فكّ الحصار، ويصبح مشروعاً ومنطقياً التساؤل عن أين ذهبت الـ80% عندما استعاد النظام وميليشياته ما كانوا فقدوه؟ وحجة أنها ذهبت وسنستعيدها لا تليق بمكانة هذا الإعلامي.

وربما كان مفهوماً أن لا يُطلب من قيادات الفصائل المقاتلة أن تتنحى بعد إخفاقات حلب، ولكنه ليس مفهوماً مطلقاً بقاء القيادات السياسية وهي التي لم تقدم شيئاً ذا بال في تعاطيها السياسي بل إن بعض رموزها يجعل منها شيئاً أقرب إلى الأضحوكة عندما يقول سالم المسلط في مقابلة مع قناة الحدث: إننا لم نتلقَ نص الاتفاق الروسي الأمريكي، وعندما نتلقاه سندرسه بتمعن مع الفصائل المقاتلة، ثم نتّخذ منه الموقف الملائم لتطلعات شعبنا، وكأنه لا يعرف الحجم الذي وضع المؤتلفون أنفسهم فيه بجهلهم وتقاعسهم وتبجّحهم.

ثم سرى الاتفاق نظرياً ودخل حيّز التنفيذ افتراضاً، ووافقت عليه قيادة الائتلاف بدون أن يصلها النص وبدون أن تجتمع لدراسته، ووافقت عليه الفصائل وتمّ خرقه أيضاً بدون استشارتها ولا تزال بنوده تُعتبر سراً إلاّ ما ورد في رسالة راتني إلى فصائل المعارضة المسلحة لا إلى ائتلاف المسلط، ثم يصف هذا الإدارة الأمريكية بـ«الصديقة»، وقارئ رسالة راتني بقليل من التمعن يكتشف مدى التقزّم الذي وصلت إليه مطالب الفصائل المسلحة من أصدقاء المسلط الأمريكان، كما يكتشف نظرة الإدارة الدونية لهذه الفصائل فما بالك بالمؤتلفين.

هل سهلٌ أن نجد اسماً لهذه الخفة في التعاطي مع الكارثة السورية؟ وهل صعبٌ أن يتنحى الذين لا يعرفون كيف يتعاملون مع الكبار أو حتى مع الصغار عن أماكنهم، أو أن يُطلب منهم أن يفعلوا؟ وهل يُسَوّغ أن يُناشد منتقدو القائمين على الأمور بهذا الشكل أن «يحلّوا عن ظهرها»؟ يجب أن تجد هذه الأسئلة أجوبة لها، وأهمّ خطوة على طريق إيجاد الأجوبة هي أن يُعاد فهم اليافطة الإسلامية، وأن يتنحى الجاهلون والمتقاعسون والمتبجّحون، وأن لا «يُحلّ عن ظهرها».

الأبقع خيرٌ من الأسود

مهرية بن زرارة

إن الأبقع خير من الأسود يا رجال..! خيار المحتم يا إخواننا في الدين والعروبة والتاريخ، الحكام يأتون ويذهبون والشعب يبقى واحداً... أمام أمة كبرودة الموت سواعدها..! أمة لا تفقه ديمقراطية، ما فتحت لها مجالاً، أمة تموت بموت الرجال!؟ شعب شمسه على حافة الضياع.. الغرب كالشرق؛ الغريب كالقريب يرقبون نزول الظلام...؛ ويكابد الشوام، بملح الدموع يطهرون الجراح؛ قلوب تنزف وعقول ترفض الغروب، بالنفس والنفيس تضحي؛ وينزف الشارع؛ يعطي يومياً من كسرة روحه؛ رصاص الغدر يحصد الكبار كالصغار؛ يتتالى القصف والدمار؛ يتضاعف العنف؛ عبثاً تسفك الدماء، تتكاثر المجازر من مقاطعة سورية إلى أخرى، عدد الضحايا في ارتفاع متسارع خطير....

ويتفرج العالم والمنظمات الدولية تتابع مشاهد الإبادة الجماعية بين قصف رش واغتيال؛ جرائم شنيعة ترتكب في حق الإنسان.

ويتساءل العام قبل الخاص؛ أين العرب؟ أين الذين يتغنون بالإسلام؛ هل أعميت أبصارهم أم أغمضوها عمداً عما يحدث في بلاد الشام..؟ الحياة تدمر جهاراً نهاراً؛ سفك دماء الأبرياء، أمام غياب تام لأي رادع عربي؛ وأمام تحريض المجموعة الدولية وتواطؤها الفاضح كل حسب مصالحه الإقليمية، ودرجة عمالته.....

ولما اتسم الموقف العربي بالتخاذل اتجاه الأزمة السورية، وانكشف تورط دول عربية معروفة في تغذية الظلم بأنواعه؛ ودعم الديكتاتور؛ وقصف الشعب السوري بمعية الحلفاء جهاراً نهاراً..؛ تساءل حينها المتتبعون للثورة السورية والمتعاطفون مع شعبها الشقيق عن تثاقل المغرب العربي وتذبذب سياساته، أو تحركه بطريقة ليس كما تريد المعارضة السياسية أن تكون؛ ولا كما يتمناها إخواننا السوريين الأحرار...

ولقد وصف موقف الجزائر بالتردد والغموض؛ أو بالأحرى انحيازها لنظام «الأسد» ما عرضها للتعتيم والتشكيك؛ رغم أن التاريخ لا يبخس أدوارها الجهادية ومواقفها الدولية؛ والإنسانية، وهذا ما شهد به الأعداء قبل الأصدقاء. وفي إطار ما تقدم؛ وفي محاولة متواضعة للبحث عن الحقيقة؛ كان هذا المقال والذي توخى الإصرار على نهج الموضوعية والنزاهة العلمية، لملامسة الأدوار الفعلية للسياسة الخارجية الجزائرية؛ والكشف عن مخططات قوى الشر المغرضة، كاستغلال أحداث معينة للتأثير سلباً؛ صب الزيت على النار لتغذية البلبلة والكراهية بين الأشقاء.. لتكون نتائجها أخطر انعكاسات على علاقة شعبين بذلوا دماءهم إيثاراً لبعضهم مجاهدين...

إخوتنا؛ إن الأمانة تفرض علينا أن لا نغمط لأحد حقاً؛ ولا يختلف اثنان حول وحشية «بشار»؛ - وأن الحكومة الجزائرية كالشعب كلاهما تدينه بقوة وتلعن حلفاءه الأشرار؛ ولكن للسياسة الجزائرية الخارجية مبادئ ثابتة تتمثل في عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة. مبادئ يؤمن بها الجزائري، وليس الحكام فقط؛ فمهما تغيرت الأنظمة والرؤساء لن يجرأ أي كان على تخطي هذه الثوابت؛ إنها ثمرة ثورتها التحريرية الكبرى..

- مساندتها للحريات - تصفية الاستعمار وحق الشعوب في تقرير المصير - العداء المطلق للكيان الصهيوني والإرهاب والعمل على كيفية مواجهته؛ والتصدي له بقوة - التحذير للتآمر الغربي وعدم منحه الثقة المطلقة؛

ولقد ساهمت أطراف عديدة في بث البلبلة؛ كاستغلال أحداث معينة للتأثير سلباً على الرأي العام خاصة؛ وإقناع المعارضة أن الجزائر تقف إلى جانب النظام؛ ولكن أبداً دولة مجاهدة كالجزائر تقف ضد شعب بريء يقف صامداً أمام آلة القتل المفتعل من أطراف عدة تعمل على نشر الفتنة لإبادته برصاص أبناء جلدته بإيعاز من قوات خارجة هدامة..!!

هذا ونؤكد للشعب السوري الشقيق أن الجزائر انطلقت من تجربتها مع الإرهاب؛ وتلك الشرية السوداء التي لا تزال سلبيتها وخيمة، وثقلها لا يزال على الصدور..

ولقد رأت الدولة الجزائرية في الوئام الداخلي وتهدئة الوضع والمصالحة مع المعارضة الوطنية الشريفة بد؛ وثقتنا عالية في إخواننا ورفع العلم الأبيض عالياً، وذلك لإحباط الشر ومخططاته الخبيثة أولاً...

وسيسجل التاريخ رفض الجزائر لخراب العراق؛ وخراب ليبيا؛ وخراب اليمن... وتسعى جاهدة -في حدود ما يسمح لها-؛ لعلها تكون طرف خير في الأزمة السورية؛ والتي تعتبر مشكلة عربية أعمق بكثير مما يتصوره المتصورون.. تحاول وضع خبرتها وحنكتها لإنهاء الصراع في سورية؛ وليتفطن المتخاصمون إلى حقيقة واحدة هي «المدنيون» والتأكيد على مواقف مفصلية وطنية من أجلهم، عملاً بأن الأبقع خير من الأسود مهما كان.

الكتابة بالأسود

علاء زيّات

كان على إنسانيتنا أن تعيش اختبارها الصعب كي ننقّي حبّاتها جيداً نحن أواسط العقد الثاني من قرن ميزته الأهم هو التواصل وواقعه الأهم هو القطيعة.

ولا تحمل القطيعة دوماً معنى سلبياً. هي مع بعض حصافة وترو قد تورد للضائعين مسارب غير مكتشفة كانت مغيبة وراء اجترار المدرك المعاد. ولكن شرط ذلك استثمار المنعطفات الحادة بدل الاستسلام لعربات القطار المنفلت عن السكة والاكتفاء بتمتمة سورة الغاشية.

للأسف كنا -وما زلنا- نلم شتات مدارسنا المتنوعة ثم نضغط زر الخلاط الفكري ونقدم سائلاً لزجاً من مشاعر وأفكار وتهويمات ورؤى، شرق وغرب، تمائم وهواتف ذكية، ولأن سائلاً من هذا النوع يصعب تسويقه، نغلفه عادة بتعابير عامة خالية من مقابض الإمساك، كالقول الأخلاق والأمانة والإنسانية وحب الآخرين وربما إغاثة الملهوف الذي عادة ما يصل منتهيَ اللهفة.

ولتكتمل الكتابة بالأسود كمخادعة صاعدة ضمناً في ذواتنا، يربكنا إقبال الآخرين على مجاراتنا في العظة الأخلاقية وقبولهم مادتنا المخاطية ويدفعنا الشك للقول في اندهاش:

- ربما هي تغيرت في الداخل ربما هي مادة جيدة للتسويق!!

نقتنع بما نعرف باستبدال ما نعرف بما نخال. يضحك الآخرون في سرهم فقد اخترعنا الخلطة البائسة وسوقناها وحسبناهم زبائن، ليستديروا ويولونا ظهورهم كل عدة عقود موثقين في كراريسهم، بأننا ما زلنا على مسافة غير بعيدة عن داحس والغبراء.

ومن اختباراتنا الصعبة على المنعطفات المنحدرة، حين نواجه مأزق التضامن بمعناه الإنتاجي، يوم تكشف لك قوى ظلامية أن بعض هلامنا هلامها، وبعض قشريتنا المذهَّبة قشريتها (على رأي النجاشي في كونهما ينهلان من مشكاة واحدة). ستعود لحظتها لذلك المحشور في الزاوية القابع بين قهرين، أولهما قهرٌ كوني، كونك تتردى عالماً ربما ما دون الثالث، وآخر مرتبط بذوي القربى حيث ما يزال ظلمهم أشد مضاضة، فتغيم رؤاك وتشتبك رؤيتك للعدو والصديق الحليف والقاهر، وعليه فإن تربية ملتبسة تسحق مساطر قياسك الإنسانية، ولأنه في خلطتك الهشة الحق ملتبس والواجب ملتبس والحد ملتبس تؤمن أخيراً أن القوة حماية، ونجاةٌ من سيف القانون، وترفُّع فوق الشبهات، وإخضاع سهلٌ لغير مالكيها، وسواء صرت مقاتلاً بعباءةٍ سوداء أو خضراء أو حمراء، وسواء صرت داعية أو شيخاً أو محاضراً فأنت أنت مرة أخرى وخلاطك الأصم، لم تتجاوز رغم كل ما سكبته الأحداث من أمطار ووحول جديدة في نهرك، بقيت أعسر على التغير، ولن يكون خيارك المتاح في عربة المنعطف غير الغاشية.

لم نكن سوداً هكذا قبل أن يجلس قبالتنا سودٌ هم أيضاً لربما سيكتشفون سواداً آخر، لكن الهلام المصبوغ بالكلمات الفارغة هو ذاته ويخط المسارات المتوازية ذاتها.

هل يعقل أن الابتكار صعب إلى هذه الدرجة؟

ولو اعتبرنا أن لدينا واحدة من فرص التاريخ الكبرى للابتعاد عدة خطوات عن داحس أو الغبراء هل ما زالت إرادتنا مع كل هذا السواد راغبة في فعل ذلك؟

بلى دون أدنى شك، لكن لنتفق أولاً أن قسماً كبيراً من صورة العدو ليست خارجاً، بل داخل رغباته وشجونه وتهلهل فكره، وخلاطه المراوغ والأصبغة ودلالات ادعائه بالذكاء كل ذلك ليس مجرد مخاطر خارجية، بل هي بعض مكوناتنا وهي خلفية هويتنا التي نظهر فيها مبتسمين كرواد نهضة.

كم سيكون مهماً توزيع تلك المرايا العملاقة على كل شارع، ليس من وقت أنسب للرؤية مثل اليوم.

الرؤية هنا تتجاوز حاستي البصر والشم معاً.

الحرمل www.alharmal.com السنة الثانية / العدد 48 / 15 أيلول 2016

سوريا، ومتلازمة الحزن العربي.

* عاصف الخالدي

جيلي، سقط في المخاض. ولم يعد من حقه اتخاذ موقفٍ تجاه الحياة، والفرح، والأحلام والمستقبل. فالحرب، تطالبنا بمواقفنا تجاهها. وتطالبنا، أن نقف على إحدى جهتي الحاجز، سواء في الحقيقة، أو في مخيلتنا، لنقف ولنكن، قاتلين أو مقتولين، ولهذا، لم يكن للورد الذي ظل يلتزم الصمت ويتطلع تجاه الشمس، لم يكن له، سوى أن تدوسه الأقدام.

زمن الحرب يطول، بحيث تضيع البدايات في الدم، كأن المطالبة بالحرية كانت مجرد مزحة، لم يصدقها إلا القتلة، ولهذا، يجب أن يموت الناس، ويتشردون، إلى أن تصير المزحة حقيقة، ونفرح، لا بد أن تتراكم الجثث كجبل، حتى نصعد إلى فرحنا. ربما يترسخ في فهمنا العربي المتراكم تاريخياً بأن السلطة توازي القمع، وهذا صحيح. لكننا ومن قبل، ومن بعد، بقينا نقرن الحرية بالدم، أو على الأقل، هذا ما علمنا إياه تاريخنا المعاصر كمنكوبين ومنتكسين بفضل صيغ الاحتلال التي رزحت في جغرافياتنا لأزمان طويلة. إذن، لا ضير في أن نقدم قرابيننا إلى الحرب، ولا ضير أن نموت، ونتشرد، ونفقد ذاكرتنا، لصالح الحرب، التي سوف تلد لنا في الأخير: الحرية.

متى خاض الإنسان ثورته؟. وفي أي زمن سحيق كانت أول ثورة؟. لعل الإجابة تكمن في أن الإنسان ثائر منذ الأزل، فهو يخترع المفاهيم وينقلب عليها، وهو يصنع، ثم لا يتمتع، فيصنع أكثر، ويصعد. للإنسان دور تصاعدي وتراكمي في الحياة، حاول فرضه ضد السلطة الأولى في هذا الكون، سلطة الطبيعة. منذ الإنسان الأول، وجدت السجلات، لتحتفظ بالحياة، أو بآثارها، هذه السجلات التي تراكمت وتراكمت، حتى ظهر التاريخ. إذن ظل التاريخ يكتب، ويوثق، حتى وصلنا إلى يومنا هذا، في عصرنا المتقدم، حيث يتم الاحتفاء بالتاريخ الشخصي للإنسان، حتى أن كل فرد يستطيع توثيق أثره بكل الوسائل المرئية والمسموعة، والتي يمكنها أن تتصل بالعالم وتنتشر في لحظات. لكن العملاق الأكبر، المتمثل بالإعلام المرئي تحديداً، يظل له الفضل الأكبر في بث التاريخ بصورة حية ومباشرة، مع قدرة عالية في التحكم، وغزارة في الإيحاء والتوجيه والصور، لكنه بذات الوقت الذي يقدم فيه كمية هائلة ومتتابعة من الصور، فإنه لا يقدم شيئاً في الحقيقة!. إذ أنه بغزارته هذه، يمحو ويسجل، ثم يمحو ويسجل، مربياً بهذا ذاكرة قصيرة الأمد لدى المتلقي، تعلق فيها صور وعبارات محددة، لا تنفك تتكرر، لكنها لا تتغير أبداً، إلا بتغير خطاب البث نفسه!. لهذا، ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبداية حرب فيتنام، صارت الحروب تبدأ على شاشة التلفاز، وتنتهي على الشاشة ذاتها. ربما لم يعد ممكناً لنشرة الأنباء العربية المجيء مساء، دون أن تحمل في جعبتها عدداً من القتلى والجرحى، وشيئاً من الدمار، وصار تجنيس الفوضى والدمار، وتوصيفهما بجمل لغوية تميزهما، هي مهنة محطات الأنباء، التي تعتاش على الاقتتال والحروب، والتي تبدي استعدادها لتسمية العدو، وتسمية الصديق، لكن المهم، أن يظلا على خلاف، وأن يحرقا في طريقيهما كل شيء، لأجل مصلحة الوطن، ولأجل استلاب التاريخ، وتحويله لتاريخ يومي مرئي، يمحى ويكتب يومياً، بل إنه كل يوم يحظى بصور عديدة وغزيرة، بحيث يعود بلا معنى ولا قيمة. إلى أن تأتي قوة عظمى ما، وتغيره حسب مزاجها.

نحن المستلبون، الذين نتفرج، ونبني آراءنا، إما ككائنات سياسية أو سلطوية أو دينية، لا يمكن لنا أن نتقاطع مع الأحداث بصورتنا الإنسانية. إذ أن جميع الأطراف، تنعى شهداءها، وأطفالها، بيوتها وأشجارها. لكنها لا تتنازل عن كونها أطرافاً، كل منها يملك الحق، ويحارب لأجله!.

الرجال الذين وقفوا على تلال من الجماجم، حتى يراهم التاريخ، وتلتقطهم الكاميرا، ليسوا جميعاً مقاتلين، مع جهة أو تلك، منهم من هو مثقف ومهندم، وفي رأسه بعض الأفكار والكتب. لكن وكما يقال: لا بد للرجل أن يتخذ موقفاً، حتى يصير رجلاً. وعلى هذا فلم يعد هنالك من بريء، ستصنفك الأقلام: إما قاتلاً أو مقتولا، ستنام لتصحو وتجد نفسك ضحية، ثم ستنام مرة أخرى وتصحو، لتجد نفسك قاتلاً. عند النوم لا يمكن تصنيف الأحلام إلى إجرامية أو وردية، كما لا يمكن التفريق بين وجه القاتل والضحية، فيما كلا الوجهين نائمان!. يا ترى إلى أي مستوى تقدمت الصحافة والثقافة العربية، حتى تتمكن من سبر غور أحلامنا، ولماذا وحتى هذه اللحظة، لم تتمكن من إدانة الحرب بعمق؟.

ربما وعلى الأغلب، فإن ممثلي ثقافتنا وصحافتنا هذه على العموم، لا يرتاحون إلا بين الموتى، وإلا كيف صمدوا حتى اليوم، في بلاد كانت تحكمها الوحوش، وتدير شؤونها الأشباح، فيما الناس ينعون أحلامهم، وفيما الموتى يظلون مطاردين حتى بعد مماتهم، مهددين بمحو أبدي من لوح التاريخ، مما يضطرهم للرحيل مرة أخرى، عن قبورهم، والنوم إلى الأبد، في ذاكرة أحبائهم!.

لا بد من البحث عن تفسير، لكل هذا التجريف، الذي تجاوز أفق القمع وأفق الثورة، واتجه لمحو أثر الإنسان السوري، وتجريده من سوريته، والذي جعل في بعض الأحيان، صورة المدافع شبيهة بصورة المهاجم، واللذين وبشكل مؤكد لو جمعناهما في صورة واحدة سوياً اليوم، فسيجتمعان، وستلتقط لهما الكاميرا صورة واحدة، لكن، لن تكون سوريا فيها بالطبع. وبالعودة للوطن، فإننا نحن العرب، الذين نعتز بأجدادنا، الذين لا نستخرج إن فرضت علينا الظروف، لا نستخرج من باطن الأرض سواهم. لأننا، لا ننتمي لأرض ليس لنا فيها موتى!. ووطننا، كتاريخنا المرئي اليومي، كلاهما مقبرة، نحن من صنعناها.

في الواقع، لا يمكن لوم الإنسان السوري أو العربي على مطالبته بحقوقه الإنسانية البسيطة، أياً كانت، بدءاً من حريته في التعبير وانتهاء بكل الحريات المدنية. ولا يمكن الخلط والدخول في عملية تقييم للشعوب ومستوى ثقافتها بحيث تقرر عملية التقييم هذه أحقيتها في المطالبة بحقوقها من عدمها. إضافة لما يلفت الانتباه فيما يخص النظرية التي تقول أن الدمار والتجريف الذي تتشاركه عدة أطراف ناتج عن صورة الجلاد التي تربت لسنين طوال في جوف الضحية بفضل القمع وسلب أبسط الحقوق المدنية، إذ لا يمكن أخذ هذه النظرية على محمل الجد في دول عربية لم تتبع النظام المدني منذ استقلالها، إذ أن التغيير في الدولة المدنية، لا يسبب كل هذا الدمار والقتل والإحلال الديموغرافي والتهجير الذي نراه اليوم في سوريا. لا أعرف طرفاً يمكن الانتماء إليه اليوم، سوى الإنسان السوري، الإنسان الذي ينتمي لعائلته وبيته، وربما لمساحة من الأرض المحيطة به، أما هويته، فهي ذاكرته. وهويته، هي ما يحب ويعمل ويصنع. ليست الهوية طائفة، ولا قوة ميليشيا. يا ترى، أين يسير جيلي هذا؟. ومن سيبني غداً؟. فيما الكل اليوم معني بالاقتلاع. كأنه لا حق لإنساننا العربي، إلا أن يُهجر ويقتل ويشرد، في رحلته تجاه حريته!. لأجل الحق يمكن قتل الجميع، كأن الحق موجود قبلنا، ولا يحتاجنا، إن تدمير المدن، أسهل بكثير من تحريرها. قتل الأحياء، أفضل من تأمين طعامهم، ترويع الأطفال، أسهل من سرد قصص ما قبل النوم لهم، شكرا لكل من علمني هذا خلال خمس سنوات من الحرب في سوريا!.

روائي ومترجم من الأردن

حين تصبح الخيانة وجهة نظر...

أحمد العجيلي

أذكر في إحدى جلسات المعالجة لدى طبيب الأسنان في مدينتي المنسية «الرقة» في شتاء عام 2012 قبل رحيلي الأخير عنها ببضع أشهر، دار بيني وبين الطبيب حوارٌ حول ما يجري في البلاد، وقد بدا على محاوري الاستياء مما آلت إليه أوضاع أشقائنا في مصر وتونس وليبيا، مُلمحاً إلى خطورة ما يفعله شباب درعا وحمص وباقي المدن المنتفضة آنذاك، والخطأ الذي سيرتكبه الشعب السوري بحقّ بلده ورئيسه الطبيب الأنيق المحترم، فيما لو استمرت هذه التظاهرات _المفبركة في استوديوهات الدوحة_ حسب ما روّج إعلام السلطة. إلا أنّه وبعد أن أظهرت له موقفي جليّاً، راح يُحدّثني عن مواقفه المعارضة للسلطة، وبأنّه دوماً كان يقف ضدّ الفساد والمُفسدين، ولكنّه يخشى إظهار مواقفه للعلن خوفاً من عيون السلطات التي قد تبطش به وبعائلته دون رحمة، وبسبب عدم إظهاره تلك المواقف راح بعض الحاسدين له من زملاء المهنة ببث دعايات كاذبة هدفها تشويه سمعته، وبالتالي وضعه على «قائمة العار».

هذا الأسلوب انتهجه الشباب الثائر في مختلف أرجاء الوطن العربي، وكانت تهدف تلك القوائم إلى توثيق كل من تلطخت يداه بدماء الثوار، أو كان عيناً من عيون السلطة، وهي من جهة قد تُشعره بالخوف من الانتقام فيما لو انتصرت الثورة فيكفّ أذاه عن المتظاهرين، ومن جهة ثانية عُدّت وسيلة من وسائل توثيق الجرائم للمستقبل على أمل محاكمة أمثال هؤلاء، وعدم السماح لهم بالفرار دون محاسبة على ما قاموا به من إيذاء لغيرهم. وظنّاً منه أنّي على علاقة بالقائمين على هذه القوائم، راح محدّثي يتوسل علّني أقوم بالتوسط له كي يُمسح اسمه، ولا يبقى ضمن دائرة الخطر. على العموم، كغيرها من ممارسات الثوار، لاقت تلك القوائم اختراقاً قوياً من النظام وأزلامه في كل أرجاء سورية، حتى بات «الطارد مطروداً» كما يقول المثل الشعبي؛ فبعد دخول بعض كتائب السلب والنهب إلى الرقة، واعتبار أهلها وما يملكون غنائم للمسلمين، يتذكر شباب الرقة الثائر أن كثيرين ممن كانوا يعملون سواء سراً أم علانية لصالح النظام، استمروا بممارسة حياتهم الطبيعية دون أن تمسّهم عدالة الثوار؛ لا بل على العكس، فقد هداهم الله وتاب عليهم، وانتسبوا إلى حملة السلاح على مبدأ «الثورة تجبّ ما قبلها».

أذكر هذه القصة وسواها من الحوادث التي ربّما مرت مع كثير من الشباب الثائر الذي يعاني اليوم مرارة الخذلان والتهجير واللجوء. ولعلّ هذه الحادثة تكشف بعضاً من ملامح شريحة معيّنة من أبناء هذا الوطن لم تعد صفة «الرمادي» تفيهم حقّهم؛ فالرمادي الذي لم تجد له موقفاً واضحاً منذ اندلاع الثورة السورية، لا هو أنكر على النظام قصفه المدنيين، وتهديم البيوت فوق رؤوس ساكنيها، ولا هو وقف مع النظام صراحةً وأعلن عن دعمه لقائد الوطن، تحت ما تبقى من سقف الوطن. هناك شريحةٌ ما زالت تمارس دور المُنظّر على السوريين، فتُلقي اللوم على أولئك الذين تظاهروا بصدورهم العارية، ورغم تأكيدهم أنّ مطالبهم كانت مُحقّة، لولا أنهم دنسوها بخيانتهم لوطنهم، وسعيهم وراء عملاء الخارج المُتمثلين بقطر والسعودية وأردوغان. ولا يفوتها بالطبع شجب قتل المدنيين خبط عشواء. حيث يجب التركيز فقط على الخونة. وكأنّ الطائرات المحمّلة بالبراميل قد زوّدت بأجهزة استشعار عن بعد تُمكنها من الولوج إلى أعماق النفس البشرية، فتكشف الخائن والعميل المرتزق فتلقي عليه برميلاً وطنياً يهدم بيته فوق رأسه.

كثيرون من هؤلاء علت أصواتهم اليوم، ولم تعد قائمة العار ولا غيرها تخيفهم، فقد وجدوا في ممارسات من امتطى ظهر الثورة مسوّغاً لسب وشتم كل من دعا إلى الثورة، ليبلغ بهم التعميم كل من خرّب هناءتهم وعيشهم الرغيد في ظل «سورية الأسد»، فتتناغم خطاباتهم مع خطاب أشد المؤيدين والمدافعين عن النظام، مُتهمين كل من خرج من البلاد بأنه خائنٌ ارتضى لنفسه مذلّة اللجوء.

(أخشى ما أخشاه أن تصبح الخيانة وجهة نظر) صدق القائل وكذب أولئك المنافقون. نعم هي كما قالها ناجي العلي يوماً، فالخيانة أصبحت وجهة نظر، فالمُلامُ حقيقة هو من سمح لأولئك الحمقى بتوزيع شهادات الوطنية على أبناء الشعب السوري، وإلا كانوا سيرون رأي العين من هو الخائن الحقيقي.

الخائن يا عزيزي المُنظّر هو ذاك الذي سكت عن بيع الوطن للإيرانيين والروس، وجعل من سورية مرتعاً لعشرات الألوف من الوحوش المنفلتة من عقالها، وهو من يُدين الضحية ويغضّ الطرف عن الجلاد، وهو من يصمّ أذنيه عن كل مطلب حق لأنه وبكل بساطة سيخسر امتيازاته التي منحه إياها نظام الأب والابن الذي فاق أبوه ظلماً وفاشيةً، والخائن الحقيقي هو من يُدين الآخرين على كلمة حقّ ضدّ سلطانٍ جائرٍ، بينما يبتلع لسانه خوفاً على ما اكتنزه طوال حكم المستبد.

الخائن هو ذاك الذي يُحاضر في الوطنية وحبّ الوطن بينما وطنه تتناهشه كلابُ الأرض جميعها دون أن ينبس ببنت شفة، والخائن هو من صمت ولا يزال، عن قولة حقٍّ كلفت غيره أرواحاً وأموالاً أُهدرت بسبب تلك الكلمة. الخائن هو من يخوّن الآخرين فقط لأنهم وقفوا بوجه الظلم، ولم يهادنوا أو يداهنوا.

تأمل في تجربة عملي مع الحكومة السورية المؤقتة

(2)

الثقافة بين ويلات الحرب والسّياسة وشحّ التمويل

د. سماح هدايا

الكلمة أمرٌ عظيم. ومن يعمل في مجال الكلمة والثّقافة، يحمل عبء مسؤوليّة ثقافيّة تستوجب منه موقفاً مستقلاً عن السّلطة ومصالح الولاء السياسي؛ لأنّ الثقافة التزام، بينما السّياسة مجال آخر تحكمه صراعات على النفوذ والهيمنة. دخول المثقف عالم السّياسية، ليس بمهمة سهلة، لا سيما في ظرف استثنائيّ كظرف الثّورة السّورية التي رافقتها تناقضات حرب أهليّة ودوليّة ونزاعات دوليّة واصطفافات محليّة جماعاتيّة متنازعة، وإشكاليّات فكريّة وأخلاقيّة حادّة أوجبتها حالة الاستبداد ونكسات المشروع النهضوي.

واجه انتقالي من حيز عملي في مجالي: الثّقافة والتّربية، إلى جهة العمل في كيان الحكومة السوريّة المؤقتة منذ الشهر الأول في عام 2015 حتى قبول استقالة الحكومة في منتصف عام 2016 ومجيء حكومة جديدة عرّفت نفسها بحكومة عمل في الداخل السوري، كثير التّحديات والصّعوبات المرتبطة بواقع عمل الحكومة السّوريّة المؤقّتة سياسياً، وبمجمل الصراعات والمتناقضات التي يمر فيها الواقع السوري فكريّاً واجتماعيّاً وسياسيّاً، وبطبيعة بناء تشكيلات المعارضة السّوريّة المتأثّرة بالمطالب الإقليميّة والدّوليّة ومتقلّباتها؛ بالإضافة إلى تفاوت مناظير الرّؤية الشعبيّة السوريّة من الثورة والمعارضة.

الذهنيّة الثقافيّة القائمة على النّظر النّقدي والأكاديمي للأمور زادت في صعوبة عملي؛ فكانت تصوّراتي الذهنيّة والفكريّة في مكان، وبيئة العمل المتّصلة بالواقع السّياسي المضّطرب في مكان آخر، خصوصاً أنّي جئت، كشخص، من خارج تشكيلات المعارضة السياسية الحزبيّة، وبلا ارتباط عضوي بكتلة سياسيّة، ومن دون عمل سابق مع جهة حكوميّة أو سياسيّة، ومن دون رصيد رضا واسع من القوى السّياسيّة.

يقال: «بعض التّجارب لا يمكن أن تمحى»؛ لأنّها تؤثّر جداً في الإنسان وفي الواقع؛ ومن خاض في تجارب المعارضة والثورة، أو في مؤسسات الائتلاف والحكومة السّورية المؤقّتة وغيرهما، لا بد أن تنطبع في ذهنه بعض الآثار المهمة، جرّاء التفاعل وما يستدعيه من صراع. تجربة عملي في الحكومة السوريّة المؤقتة كوزيرة ثقافة مثل ذلك؛ فقد جرؤتُ على خوض التّجربة، وهي أشبه بمعركة وضعتني في صراعات وتحديّات ومواقف ومواجهات لم أعهدها؛ لكنّها صقلت معرفتي بالواقع السوري ووضعتني وجهاً لوجه في استحقاقات إنسانيّة. التحديّات والظروف كانت أكبر من إمكاناتي كفرد أو كوزارة، ولعل مبادرات ومنظمات تنمويّة كانت تعمل أفضل منا. وذلك بسبب انقطاع التمويل، منذ بداية عملنا، وتأثير ذلك في تسيير العمل وفي تنفيذ المشاريع، بالإضافة إلى الوهن في دعم الوزارة بحجة، عدم أهميتها في ظل المطالب الكبيرة الإغاثيّة والصحيّة والعسكريّة. فتعمّقت حالة انعدام الثقة بنا، وزاد الإعراض عن العمل مع الوزارة المفلسة. كما عقّد العمل عجز الحكومة عن دعم الإدارة المدنية المؤسساتية المرتبطة بها في الداخل، وجعل خططنا ومشاريعنا مع مديريات الداخل تبقى شكليّة.

كان لتوسّع النّظرة السّلبية في بعض الأوساط، الناجم عن ضعف أداء الحكومة السوريّة المؤقتة في كثير من المجالات، وموقف بعض المنظمات والمؤسسات الرافضة للتعاون أثره في تفاقم عجز أداء الوزارة. وأخفقت في تجاوز هذا، ورأيت نفسي مقصّرة وعاجزة عن العمل والوفاء بما وعدت نفسي والآخرين به؛ فإنجازات عمل الوزارة، رغم المحاولات الكثيرة والسعي الدّؤوب لجلب تمويل من خارج الحكومة، جاءت قاصرة عن بلوغ الهدف، على الرغم من توافر الحماس الكبير للعمل ولمجابهة المعوّقات، واعتماد خطة كاملة ومشاريع جاهزة للتشغيل والتنفيذ في حال توافر المورد المالي والمورد البشري المؤهّل. وهنا لا بدّ من الاعتراف بأن فريق عمل الوزارة كان منذ البداية يملك وعياً فردياً ووعياً جماعياً لضرورة العمل وأهميته ويحمل حماساً للعمل وتنفيذ المشاريع في حال توفّر المال، ولضرورة تطوير أدائه المهني.

عندما قبلت العمل كوزيرة في الحكومة السورية المؤقتة، والسير في هذا الاتجاه، كان المسلّم في ذهني القيام بمهمة وطنيّة، وانطلقت من افتراضات وتصوّرات، أثبتت التجربة أنها لا تقوم على معرفة دقيقة واقعيّة بطبيعة الظروف المحيطة بالعمل في الحكومة السوريّة المؤقتة. واقتضى هذا الخطأ الكبير جهداً كبيراً للتّعامل مع الواقع الحقيقي ومتابعة مشاكله. ولم يعفني أن هدفي الذي لم يتمحور حول طموح السلطة والمنفعة الماليّة؛ فالظروف ما كانت تسمح بذلك ولا توحي بذلك؛ من الدفاع في كل مواجهة مع جماعة أو حرك أو أفراد، عن جدوى عملي في الحكومة السّورية المؤقتة، والتأكيد المستمر أن هدفي من ذلك القيام بواجبي الوطني في مجال الثقافة والهوية وشؤون الأسرة والتراث، لا سيما أن الاحتياج كبير لترميم الذات في ظل التحطيم الذي حصل للهويّة السورية الفرديّة والجمعية تحت رحى الحرب والاستبداد والإرهاب؛ وأنّ عملي لغاية مدنيّة وثيقة الصّلة بمفاهيم الثورة السورية، ثورة الحرية والكرامة والعدل وإسقاط نظام الاستبداد ومنظومته؛ وليس لأجندة ضيقة، فالعمل السوري السياسي والمدني في داخل الحكومة وخارجها وخطابه النخبوي أو الشعبوي، كانت تتجاذبه الولاءات السياسية والمناطقيّة والعقائديّة والحزبيّة... وأخرجته الظروف الشرسة عن مساره المستقيم.

اتصالي بواقع اللاجئين السوريين في أكثر من مكان في جنوب تركيا، واطّلاعي عن قرب على قصص نكبات حقيقيّة للشعب السوري سردتها نساء لاجئات؛ هربن من القصف والقتل والصراع، وكانت لديهن إرادة عظيمة للمقاومة وإصرار على إسقاط نظام الأسد الإرهابي وإسقاط أيضاً أي إرهاب آخر.. منحني فرصة كبيرة لأكون على اطلاع أوسع على مشاكل السوريين اللاجئين والنازحين، وهو ما كنت أفتقده بحكم كوني بعيدة عن الأرض الحقيقية للمعركة. وهو مكسب لي أكثر من أن يكون عملي مكسباً لهم. ومع أن اللاجئين كانوا يحتاجون للكثير؛ لكنّ أكثر ما كانوا يطلبونه، هو مظلة معنويّة ودعم حكومي رسمي يشعرهم بقيمتهم، وهو ما افتقدوه. هناك تصور لديهم أنّ المنظّمات والمؤسّسات الرسميّة وغير الرسميّة تأتي لإثبات وجود إعلامي وسياسي، أكثر من تقديم جهد مؤسساتي منهجي مستمر لدعمهم. الصّدقات والنيات النبيلة جميلة لكنها غير كافية في المحن.

مهمة وزارة الثقافة وشؤون الأسرة في التمكين الاجتماعي والتثقيف والإرشاد النفسي، تضع الأولوية دعم الإنسان وتعزيز القيم الإيجابيّة في مجابهة الأحاسيس السلبية الخطيرة، المنبثقة من واقع النكبة السورية وفجائعها كان يقتضي عمليات إسعافيّة كثيرة لا تقتصر على الصحة الجسدية؛ بل تتعداها إلى الصحّة النفسيّة والصّحة الاجتماعيّة ومتطلبات العيش والأمن الاقتصادي الاجتماعي وأن تكون خطة العمل مرتبطة بهذا الوضع الاستثنائي، وهو ما تضمّنته خطة عمل وزارة الثقافة التي تم تسليمها، للحكومة السورية المؤقّتة قبل مباشرة العمل، ثم جرى تعديلها وفق الظروف؛ فويلات الحرب التي تفكّك الرّوابط الإنسانية، وتقتل الأهل والأصدقاء والجيران، وتكسّر معاني كثيرة اعتاد المرء عليها في حياته قبل الحرب تستلزم عمليّة مستدامة من التّثقيف والتعليم والتّنمية الفرديّة والاجتماعيّة والتوعية بالحماية الاجتماعيّة، خصوصاً للأطفال والمعوقين وكبار السن والأيتام والنساء اللواتي تقع عليهن التزامات وأعباء شديدة نتيجة فقدان المعيل وأجواء عدم الاستقرار الأسري، والعمل على معالجة الجروح البليغة التي تتعرض لها الهوية ورأب الفجوة. اتصالنا المباشر بالواقع السوري، وضعنا أمام احتياجات كثيرة، خصوصاً بعد زيارة بعض أماكن تواجد السوريين التي تحتاج إلى دعم ورعاية ثقافية واجتماعية في غازي عنتاب وكلس والريحانية وأورفة، ولقائنا بمجموعة من الناشطين والإعلاميين والأدباء الشباب، واتصالنا ببعض المنظمات والجمعيات ووسائل الإعلام التي شاركتنا بأفكار مهمة جداً؛ فقمنا بتعديل ما كان مخططاً منذ الأيام الأولى لاستلام المهمّة، وتكييف العمل مع التطورات التي جاءت سريعة جداً، خصوصاً في تداعي واقع الحكومة المالي وما نتج عنه من بلبلة وفوضى في العمل واعتماد الحكومة العمل الطوعي غير المأجور.

كان من المستحيل في ظل هذه الظروف الاستثنائية الخطيرة أن تعمل الوزارة بنموذج نمطي كوزارات طبيعية؛ فالتعامل مع موضوع الثقافة وشؤون الأسرة في ظل الواقع السوري الحالي المأزوم والمشروخ، يستلزم رؤية خاصة، تراعي الظرف الخاص والمستجدات، وآلية عمل واقعية تكون في قلب المشكلة وتسعى لاحتوائها وحلّها بفهم الحساسيات الخاصة المختلفة، وفي مساق الاحتياجات العامة الوطنية والإنسانية ومع مواكبة المستجدات. لكن، لا يمكن إنكار وجود التقصير في عمل وزارة الثقافة وشؤون الأسرة ضمن المهمة المطلوبة منها والهدف المنشود. أسهمت الظروف الاقتصادية السيئة للحكومة السّورية ولوزارة الثقافة في هذا التقصير، بالإضافة لظروف التنفيذ الصّعبة جغرافيّاً وبشريّاً. وقد زاد من مشقة الأمر وتعقيده عدم استلامنا ملفات العمل السابقة من الحكومة أو من الوزارة السابقة، فلم يكن بين أيدينا خطة عمل منهجيّة مدونة سابقة، لكي نكمل فيها أو نعدّل عليها، بالإضافة إلى استغنائنا كوزارة عن مجموعة كبيرة من الموظفين السابقين لأسباب مختلفة، وعدم توظيف موظفين أجدّة، يقومون بعبء العمل، مما أضاف معوّقاً للعمل. واسترشدنا بما كان كأهداف عمل عامة للوزارة وللحكومة السورية المؤقتة. وركزنا على مفاهيم الأمن الثقافي والحماية الاجتماعية ضمن المتاح.

انقطاع تمويل المشاريع، والافتقار إلى تخطيط منهجي لحالة طوارئ مدروسة تحتوي الأزمة المالية وتعمل لتجاوزها في الحكومة، أدّى إلى العجز عن دفع رواتب العاملين في الحكومة، ونجم عنه فشل في تشغيل مشروع مستدام، وزاد الوضع سوءاً ضعف المناخ المؤسساتي والمهني للعمل، ووجود مشاكل عميقة بيروقراطية في تصريف العمل؛ فكان من الصعب في مثل تلك الظروف إنجاز شيء حقيقي في عمل الوزارة؛ فاضطررنا، تحت وطأة هذه الظروف أن نعمل بإمكانات إسعافية لفريق عمل تقلّص عدده، وتسرّب آخرون، بدافع الظروف المالية والحاجة إلى كسب قوت العيش، وبسبب تفاقم المشاكل التي تظهر في أي تجمّع سوري رسمي أو غير رسمي وتزيدها الإخفاقات، فتحوّل العمل من إطار وزارة ذات صيغة تخطيط وتنفيذ وإشراف ورعاية، إلى ما يشبه منظمة أو مركز ثقافي متواضع فقير، يعتمد على التعاون مع منظمة أو مؤسسة مهتمّة بالتشارك مع الوزارة، وقمنا بأنشطة صغيرة ومهمّة في هذا المجال، بما يتيحه واقع شح النفقات، وفي ظروف صعبة وأحلام كبيرة.

حدث في زمن الأسد الأول

نظام الأسد ونهيق الحمار؟!

نبيل الفواز

في موروثنا الديني الإسلامي يشار إلى أن أنكر الأصوات هو صوت الحمار، وهذا صحيح ولا خلاف حوله، ولكن السؤال الأهم، الأسد كيف يمكن لمثل هذا الصوت في سورية كما يقولون، أن يصبح دلالة على حرية ما إن كان في النهيق بصوت عال أو في حرية الحركة بخلاف حال الكثير من السوريين القابعين في سجون ومعتقلات آل الأسد.

أذكر في مناسبة ما، وكنّا مجموعة من الأصدقاء جالسين في مقهى في مدينة الرقة، أن سألني أحدهم عن أحب الأصوات إلى قلبي، فابتسمت ونظرت إليه قائلاً: نهيق الحمار، أليس هو صوت كسائر الأصوات؟ وقال بعضهم نهيق الحمار يا رجل! قلت أجل قالوا كيف ذلك؟ أجبتهم: عندما تعيش في بلد كبلدنا تكمم فيه الأفواه، ويمنع الإنسان فيه من التعبير عن رأيه بحرية أو التفكير بها حتى، وعندما توضع في شروط للحياة في معتقل ما في سوريا لا يمكن للحيوان أن يستمر في العيش فيها. وسأروي لكم الحكاية التالية، كرد على استغرابكم ودهشتكم لجوابي الذي لم يكن يدور بخلد أي منكم.

كان العام 1986 نقطة تحول في حياة الكثير من المعتقلين في سجن كفر سوسة، ضمن المربع الأمني لإدارة أمن الدولة، وبعد مرور ستة أعوام على احتجازنا في ذلك السجن سيء السمعة، وفي أقبية لا تدخلها أشعة الشمس حيث الهواء الفاسد ورائحة العفن تعبق في الأجواء على مدار الساعة، وحيث الاكتظاظ البشري في العنابر مخالف لأبسط حقوق الإنسان السجين، ورغم كل مساوئ ذلك السجن كانوا بالقياس إلى سجن تدمر الرهيب أفضل بكثير.

أذكر آنذاك، حالة التذمر الشديد التي كانت تسود أوساط السجناء نتيجة سرقة إدارة السجن لمخصصات السجناء الغذائية والصحية ومواد النظافة علماً بان العديد من المعتقلين كان محروماً من زيارة الأهل، وبالتالي من أي مورد مادي يساعدهم على الاستمرار، ومن خلال التشاور بيننا استقر أمرنا على رفع عريضة تظلم إلى رئيس الفرع، وكان من عائلة ناصيف خير بيك وتوفي لاحقاً نتيجة إصابته بمرض في الدماغ، لعله يساعدنا في وقف السرقات وتأمين حقوقنا كسجناء، فكان حالنا كما يقال «كالمستجير من الرمضاء بالنار»، وخلال ساعات قليلة تم استدعاء بعض منّا لمقابلة رئيس الفرع، حيث أربد وأزبد وهددنا بالويل والثبور لكتابة تلك العريضة.

وبالفعل تم سوقنا، وكنّا مجموعة مؤلفة من عشرة أشخاص، مع ساعات الفجر الأولى، مكبلين بالأيدي والأرجل وعصابات على الأعين، وبواسطة عربة تابعة للشرطة العسكرية يقال لها سيارة اللحم البشري إلى سجن تدمر الرهيب مع توصية مشددة من رئيس الفرع، بالعناية بنا، وما هي إلا بضع ساعات، حتى حطت بنا شاحنة الزيل العسكرية في فناء سجن تدمر حيث رفعت العصابات عن أعيننا، ولدى ترجلنا من الشاحنة لاحظنا وجود رتلين من الشرطة العسكرية يميناً ويساراً يحملون الهراوات والعصي، وطلب منا العبور في وسطهم، حيث انهال علينا العناصر بالضرب والرفس والشتم طوال الطريق المؤدي إلى باحة الإدارة، وهناك تم تفتيش ما نحمله من متاع، بل وإتلاف القسم الأكبر منه، ثم جاء دور التعرية والتفتيش الجسدي في أدق المواضع في جسم الإنسان، تلا ذلك قدوم حلاق السجن وأي حلاق كان؟ حيث قام بأداته الصدئة بجز شعورنا، ورسم علامة الصليب على الرأس، ثم اقتادونا إلى ذاتية السجن حيث تم إدراج الأسماء في قيودهم. بعد ذلك حملنا سقط متاعنا، وتم سوقنا إلى الباحة الأولى على شكل رتل. كانت الباحة أقرب إلى ملعب كرة القدم من حيث المساحة، ولكن أرض تلك الباحة كانت مجبولة من الاسمنت والحصى علمنا لاحقاً أنها باحة مخصصة لتعذيب المعتقلين الجدد الوافدين إلى سجن تدمر.

بدأت عملية التعذيب من قبل عناصر الشرطة العسكرية الأوغاد بشكل وحشي وهمجي قلّ نظيره، وكان عددهم كبيراً، ويحملون الهراوات وحبالاً بلاستيكية مستطيلة، يقال لها الكابل الرباعي محشوة بأسلاك حديدية، ولا أعلم بالضبط كم استمرت حفلة التعذيب.

كانت أصوات عناصر الشرطة العسكرية وسلوكهم أقرب إلى أصوات وسلوك الحيوانات منه إلى الإنسان، كانت الهراوات تنهال على رؤوسنا وعلى كل موضع بالجسد بلا رحمة، وما زاد في الطين بلة هو إرغامنا على حمل أمتعتنا أثناء الجري في الباحة، وكلاب الشرطة العسكرية تلاحقنا، وعلمنا لاحقاً أنه، وفي لوائحهم الخاصة، مسموح لهم بقتل عشرة بالمئة من السجناء أثناء التعذيب.

وأخيراً تم سوقنا جرياً إلى باحة مجاورة هي الباحة الخامسة، وهي باحة الإعدامات كما علمنا منهم. وتحت وابل من الضرب والشتائم تم حشرنا في غرفة إسمنتية فارغة، وأغلقت الأبواب علينا وغادرت عناصر الشرطة العسكرية، عندها تنفسنا الصعداء وحمدنا الرب على السلامة، وعلت الابتسامة وجوهنا رغم الآلام الشديدة والجروح والدماء النازفة من أجسادنا الضعيفة. شُوهت معالم وجوهنا، وعلى الرؤوس كانت تبدو انتفاخات كثيرة أشبه بالكرات نتيجة الضرب بالهراوات.

علمنا من عناصر الخدمة في اليوم التالي وهم سجناء عسكريون اعتقلوا كونهم يتبعون للواء الجبلي في سرايا الدفاع بقيادة المجرم رفعت الأسد نتيجة صدامه مع شقيقة الأكبر حافظ، أثناء تقديم وجبة الإفطار المكونة من الشاي البارد وبضع حبات من الزيتون وخبز يابس، أن هذه الباحة مخصصة للذين صدرت بحقهم أحكام بالإعدام أو معاقبين من قبل إدارة السجن أو معتقلين لهم وضع خاص كالجواسيس.

كما التقينا لاحقاً بأعضاء من تنظيم يدعى المنظمة الشيوعية العربية التي لجأت إلى العنف المسلح لمواجهة النظام في مدينة دمشق أواخر السبعينات.

خوف ما تملكنا آنذاك، هل سيتم سوقنا إلى محاكم ميدانية؟ ولماذا تم اختيارنا نحن كمجموعة من مئات المعتقلين في سجن كفر سوسة، وكان يتزايد ليلاً عند فتح الأبواب حيث يتم سوق بعض نزلاء المنفردات إلى باحة مجاورة مخصصة لتنفيذ أحكام الإعدام حيث تسوقهم عناصر الشرطة العسكرية مكبلين بالقيود ومعصوبي الأعين ولا يعودوا إلى الزنازين مطلقاً. بعد مضي أكثر من شهرين، تم سوقنا مجدداً إلى باحة جديدة، وهي باحة الحمام كما قيل لنا، ويبدو أن إدارة السجن ونظراً للازدحام الشديد استغنت عن الحمامات وحولتها إلى عنبرين اثنين متصلين، دخلنا إلى الحمامات ورؤوسنا إلى الأرض إذ يحظر على السجين في سجن تدمر رفع رأسه والنظر في ما حوله، وبعد إجراء التفقد اللازم من قبلهم أغلقت الأبواب، فتنفسنا الصعداء، وتلفتنا حولنا فوجدناهم مجموعة كبيرة تقارب الخمسين سجيناً قدموا من سجن كفر سوسة، ومجموعة أخرى قدمت من فرع الأمن العسكري شعرنا بالارتياح وكان اللقاء حاراً.

بعد فترة ليست قصيرة تم سوقنا مجدداً إلى باحة يطلق عليها اسم المستوصف، وهي عبارة عن بناء صغير فيه بضع غرف صغيرة متصلة وباحة إسمنتية صغيرة لممارسة الرياضة والمشي أثناء النهار لقد تم حشرنا في الغرف لأكثر من عام لحين صدور قرار بنقلنا إلى سجن صيدنايا العسكري رقم واحد والذي دشن حديثاً من قبل رأس النظام. في ذلك المستوصف كانت حياتنا أكثر راحة بالقياس إلى ما سبق حيث عمد الشباب إلى ترتيب الأوضاع وأمور الحياة من طعام ونظافة وخدمة وغيرها من الأمور. كان باب الباحة يفتح صباحاً ويغلق عند ساعة الغروب صيفاً وشتاء حيث تقوم الخدمة اليومية الدورية بإعداد وجبات الإفطار والعشاء وغيرها في إطار حياتنا الجماعية كسجناء.

عند إغلاق الأبواب مساء تقوم مجموعة الخدمة اليومية بتقديم وجبة العشاء الساخن يلي ذلك عملية الجلي والنظافة، وأخيراً تقديم الشاي الساخن ولينصرف الشباب بعدها للقراءة أو إتمام دورات لغوية أو حلقات نقاش أو لعب الشطرنج أو طاولة الزهر أو ورق الشدة،، وهذه المواد مصنعة محلياً من قبل المعتقلين مما يتوفر لهم داخل السجن ولحسن حظنا ولأول مرة تقوم إدارة السجن بتقديم صحف النظام اليومية، وسمح لنا بشراء مذياع صغير لأول مرة بعد مرور أكثر من ست سنوات على اعتقالنا.

عالم جديد أوسع مما كان عليه الحال سابقاً.

أعود إلى النقطة التي أثرتها في بداية المقال حول نهيق الحمار وبصدق هذا ما كان يحدث عندنا صيفا وشتاء أثناء شرب الشاي في ذلك التوقيت كان يتناهى إلى مسامعنا جميعا نهيق الحمار الذي ينطلق من منزل تدمري قريب من المستوصف في تلك اللحظة كنت مع الإخوة في غرفتنا الصغيرة نتبادل النظرات والابتسامة ويكثر التندر والتعليق على ذلك النهيق، واذكر منهم جاري الأخ مصطفى خليفة والأخ غياث عيون السود وأخ لنا من السويداء من آل أبو حمدان والشاعر العزيز إلى قلبي يوسف الجندي أبو اليوس من مدينة السلمية الذي كانت تعليقاته سارة لنا مثل لك حتى الحمير عايشة بحرية أو تفضل هاي تحية المساء، وعلى اعتبار أنني أعرف مدينة تدمر جيداً حيث أمضيت فيها عاماً كاملاً وبالتحديد العام 1971

في مطارها الحربي المجاور للسجن أثناء تأديتي للخدمة الإلزامية واتباعي دورة تدريبية لصالح القوى الجوية، لقد كنت على معرفة وثيقة بموقع السجن وقربه من الأحياء السكنية المتاخمة له حتى أنني ترددت على السجن العسكري مع بعض زملائي في الدورة أكثر من مرة تلبية لدعوات لبعض أبناء مدينتي الرقة ودير الزور لتناول الغداء هناك وأعرف أحياء تدمر وأسرها الكريمة، مع نهيق الحمار كانت الذكريات تتداعى أمامي، بالأمس كنت حراً واليوم بت أسيراً في ذلك السجن اللعين.

قلت لأصحابي الجالسين في المقهى هذا ما صرنا إليه في سورية بفضل آل الأسد، أصبحنا نعيش في بلد هامش الحرية فيه يضيق لدرجة أننا حسدنا الحمير على قدرتها على النهيق ساعة تشاء.

إحياء الطفل

* شريف صالح

لفت زوجتي طفلنا في قماطه وحملته بين ذراعيها. راحت تناغيه وترف شفتيه بطرف سبابتها.

ظل وجهه هادئاً ساكناً. مغمض العينين، كما هو. كأنه في نوم أبدي عميق. وكان شعاع الضوء ينير وجهه مثل الملاك.

أسرعنا به إلى مدينة الأطباء.

مدينة الأطباء كبيرة وعائمة وسط جداول مياه ضحلة يصل فيها الماء الصافي إلى الركبتين. وقد تم تصميمها على هذا النحو كي لا تنتشر بها عدوى الأمراض المتفشية بين الناس هذه الأيام.

بيوتها الطبية بيضاء ومكونة من طابقين. حول البيوت أشجار سرو وكافور عملاقة تظلل جدرانها، وعلى كل شجرة منحوت بخط بارز اسم شخصية شهيرة، فهذه شجرة مارلون براندو وهذه شجرة تولستوي.. مجرد أسماء عشوائية لمشاهير، فتجد مثلاً شجرة الأم تريزا بجوار شجرة هتلر.

لا يمكن الوصول إلى الطبيب دون عبور حواجز كثيرة من الأشجار والمياه ونباتات الماء وركوب أحد القوارب الصغيرة أحياناً. القوارب كانت متاحة مجاناً للجميع ويقودها صبيان سمر لهم رؤوس ضخمة على أجساد ضامرة شديدة النحافة.

أثناء جلوسنا في القارب كنا نرى بسهولة قطع الحجارة الجيرية والطحالب راسية في القاع وطيور بيضاء مائية لا أعرف اسمها، لكن تغريدها المبحوح كان لطيفاً ومهدئاً للأعصاب. بدت بعض البيوت الطبية التي درنا حولها بلا مدخل ولا نوافذ. أشارت زوجتي إلى طوابير المرضى أمامها. خمنت أنها تعني أننا سننتظر طويلاً، أو أنها فقط تستغرب من وقوف هؤلاء المجانين أمام بيت لا مدخل له!

لم تكن هناك أي لافتة تساعدنا في معرفة تخصص كل بيت طبي. وبما أن طفلنا كان صامتاً ولا تصدر عنه أدنى حركة، فلا أنا ولا أمه كنا نعرف مما يعاني على وجه الدقة، ولا من هو الطبيب المناسب لعلاج هذه الحالة.

تمنيت لو نعثر على طبيب ساحر يساعده كي يصرخ ويبكي ويضحك ونسمع كركبة بطنه وضراطه. مثل أي طفل طبيعي.

ونحن نجتاز المزيد من الممرات المائية، تخيلت شكل هذا الطبيب الساحر وهو يتناول الطفل من أمه ويدق على بطنه ثلاث دقات خفيفة، ثم ينفخ الهواء في أذنه، يفتح جفن عينه برقة، ثم يفحصها بآلة صغيرة.. قبل أن يأتي بآلة أخرى تقبل صغيري في فمه فتدب في جسده الحياة.

لا أستطيع أن أتصور فكرة أنه ميت ولن يحظى بدقيقة حياة واحدة على الأقل. دقيقة واحدة يتنفس فيها ويبتسم. كلما مرت في خاطري تلك الفكرة كنت أطردها وأشجع زوجتي.

من يكون هذا الطبيب الساحر؟ وأين نعثر عليه وسط هذه البيوت ونحن نخوض في شوارع مائية لا نهاية لها؟!

انتبهت إلى وجود عدد لم أكن أتخيله من الأولاد السود، كانوا نصف عراة يجوبون الشوارع بخفة وألفة. لعلهم أدلاء وسماسرة يساعدون المرضى القادمين إلى المدينة مقابل عمولة بسيطة أو يبيعونهم سراً أدوية ممنوعة كما نسمع في التلفزيون.

بعضهم كان يلهو بمطاردة سمك الماكريل الصغير الذي يسبح حولنا ويقفز في الهواء فجأة. أشرت إلى زوجتي: لن يساعدنا إلا أحد هؤلاء الأولاد الأوغاد.

ناديت على أحدهم وسألته عن أمهر أطباء المدينة، فشرح لي كيف أن هذا الطابور الواقف أمامنا، هنا منذ عام لأن هذا البيت أساساً بلا مدخل لكن الطبيب الموجود في داخله ماهر جدًا. ثم اتجه بنا إلى خلف البيت وجلب سلماً خشبياً وصعد أمامنا..

تناول الطفل مني وبدوري ساعدت زوجتي في الصعود قبلي.

هبطنا إلى صحن البيت والتقينا الطبيب دون الوقوف في طوابير، وبمجرد أن وضع يده على جبين الطفل البارد حتى قال:

ـ «الولد ميت!»

قلت له:

ـ «ألا تستطيع أن تفعل شيئاً؟»

هز رأسه:

ـ «قلت لك الولد ميت»!

دخن من غليونه وهز رأسه ثانية، ثم أشار بيده كي ننصرف.

الولد الذي اصطحبنا أعادنا عن طريق السلم نفسه، وشجعنا ألا نيأس. روى لنا كيف جاء صغيراً من الصومال، مثل عشرات الأيتام إلى هذه المدينة، وكان لا يستطيع اصطياد سمكة ماكريل واحدة أما الآن فهو يضرب يده مثل الخطاف فيخرج السمكة في ثانية واحدة.

لا أعرف ما علاقة ما حكاه لنا بإحياء ابني. على أية حال كلامه شجعنا على الذهاب إلى طبيب آخر. قرأت على شجرة تشبه شجر الأرز اسم «لويس بونويل» وحين التفت الولد وسألني: ما اسم طفلك؟ قلت كاذباً ودون تردد:

ـ «لويس بونويل»

فعاد وسألني إذا كان طفلي تسمم بسبب اسمه الغريب هذا؟! شرحت له أنه ولد هكذا. لا يتكلم ولا يتحرك ولا يتنفس.

ـ «أصابته الحصبة الألمانية؟»

لم أرد، فابتسم الصبي الأسمر بعينيه الواسعتين ورشح لنا طبيباً عجوزاً قال إنه حكيم المدينة الطبية كلها.

تطلع الطبيب حكيم المدينة في وجه الطفل الساكن بين ذراعي أمه ثم نظر في عيني وخلع قبعته وقال:

ـ «من تظنني أيها الأبله؟ عيسى ابن مريم!»

دفعت للصبي، بعد مغادرتنا، مزيداً من النقود وقلت له لا بد أن هناك في هذا المدينة أطباء سحرة قادرون على فعل المعجزات! رد مؤكداً على كلامي:

ـ «طبعاً هناك أطباء أولاد جنية. هيا بنا..»

قادنا عبر جدول صغير ـ على الأرجح ـ إلى خارج المدينة، وعلى ناصية النهر كان هناك بيت طبيب هندي يبدو في سن المائة وله لحية بيضاء بطول صدره وصلعة محمرة على جانبيها شعر أبيض، طويل وناعم.

تناول الطفل في حجره وراح يدلك أعضاءه المتيبسة بهدوء ويتلو تعاويذ غامضة. ابتسمت في سري، فهو على الأقل لم ينهرنا. بل لم يبال أصلاً بوجودنا. هو الوحيد الذي كان مؤمناً بإمكانية أن يتحرك طفلي. فجأة وجدتني أصيح:

ـ «طفلي ابتسم.. طفلي ابتسم»

كان طفلي يبتسم بالفعل. زوجتي أيضاً لاحظت ذلك ووقفت مهللة وقد امتلأت عيناها بالدموع.

الطبيب الهندي العجوز كان ساكناً كما هو، مغمض العينين، وكأننا لا وجود لنا أمامه. كان بجواره راديو صغير تنبعث منه موسيقى «برسيفال» لفاجنر. لا أتذكر كيف عرفت أنها موسيقى «برسيفال».

أخبرنا الطبيب أنه لا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك. كل ما يمكنه أن يفعله هو أن يجعل الطفل يبتسم لأبويه. تدخل الصبي الدليل وقال لنا:

ـ «أرأيتم؟ هذه معجزة حقيقية! المعجزات ما زالت تحدث!»

سألته زوجتي:

ـ «ألن يتحرك؟ ألن يقول شيئاً لأمه؟!»

هز الطبيب رأسه وأعاد الكلام نفسه بأن كل ما يستطيعه أن يجعله يبتسم لنا كلما جئنا به إلى هنا. هممت بدفع أجرة الطبيب فنهرني الصبي وهمس في أذني بأن هذا العجوز الهندي أكبر أطباء المدينة سناً وهو زاهد توقف عن أخذ أية أجرة منذ ستين عاماً. وهو الوحيد الذي يعالج من دون أن يكتب أي علاج لأحد.

قالت زوجتي بعدما انصرفنا:

ـ «وماذا سنفعل بابتسامة طفل لا يتكلم ولا يتحرك؟!»

قلت لها: «يكفي أنه يعرفك ويعرفني ويبتسم لنا».

ـ «وهل سنقطع كل يوم هذه الرحلة الشاقة من أجل أن يبتسم لنا؟»

فضلت تغيير الموضوع:

ـ «ما رأيك في تأجير أحد البيوت هنا.. بالقرب من بيت الطبيب الهندي!»

الصبي الذي مازال يسير معنا كي يرشدنا إلى المرسى الرئيسي للقوارب استحسن الفكرة وأكد أننا سننعم هنا بهدوء لا مثيل له في أي مكان آخر في العالم.. استطرد يشرح لنا فوائد أن يكون لدينا بيت يحيطه الماء من أربع جهات وأشجار سرو وكافور وأرز ويمام وطيور بيضاء ونستطيع أيضاً أن نرى سمك الماكريل وهو يلعب في المياه الجارية الشفافة، يذهب إلى المحيط ويعود.. فوق هذا كله، تستطيعون الحصول على ابتسامة من طفلكم في أي وقت. في حين أن آباء كثيرين لديهم أطفال أحياء ولا يستطيعون الحصول على ابتسامة منهم.

ظل الصبي يحكي متحمساً وهو يأسف لأنه لم ير ـ مثلنا ـ ابتسامة طفلنا بعينيه، لأنها معجزة خاصة فقط بين الطفل ووالديه، كما فهم من الهندي العجوز.

سكت أخيراً.. ونحن بدورنا كنا صامتين، نسير خلفه.

ثم التفت نحوي وعاد يقول:

ـ «من المؤكد أن ابتسامة الطفل عظيمة.. معجزة فعلاً».

* كاتب وأديب من مصر

اهـــدأْ قـلـيـلًا

اهـــدأْ قـلـيـلًا واخـتـبـرْ أعـصـابـي...
وارسـمْ حـدودَكَ كـي تـثيرَ سحابي

واخـتـرْ حديثاً بـعـدَ طـولِ غـيـابِ
أنـا مـنْ تـمردتِ الـمساءَ كنجمةٍ...

أهـــدأْ قليلًا واخـتـرِ العطرَ الـذي...
مـا كـانَ مـنـكَ قـطافُها بـضـبابِ

عـطّرتَ فـيهِ القلب قبلَ ثيابي
وأنا انتهيت وبات في ليل الأسى...

اهـــدأْ فـمـا دونَ الـنـجومِ مـقـيدٌ...
مـني انتظارٌ لـم يكن بحسابي

وأنـا بـمـا دونَ الـنـجومِ تـرابـي
وأنـا الـتي أغـريتُ ورداتِ الـمنى...

يـا مـنْ عـزفتَ بخافقي نبضاتِه...
بحدائقٍ نـبـتتْ بأرضِ يبابـي

وغـمـرتَ ليلاتي بغيثِ سحابي
وأنـا الحكاياتِ الـتـي لا تـنتهي...

ودعـوتـني كأميرةٍ كـيْ تشتهي...
يـومـاً لأنـي شـهـرزادُ كـتـابي

خـصـراً يـذوّبـني بـهـمسِ عـذابي
لا تـتـركِ الـروحَ الـتي تـهـبُ الـهوى...

كـسّـرْ قـيـودَكَ وانحرِ الصمتَ الـذي...
هـمـساتِ عـشـقٍ عزّها بخطابي

لامـسـتَ فـيـهِ بلحظةٍ أعـتـابي
هـــذي أنـــا والله عـنـدي لـوعـةً...

قـلْ مـا تـشا لا تنتظرْ منجَ المنى...
بـهـواكَ إنّك من يـزيـدُ عـذابي

حـريـتـي هـيـا ودونـــكَ بـابـي
رافقْ أماني الشوقَ في همسي أنا...

شعر: لميس الرحبي

عذرا نزار

هذي دمشق فأين الكأس والراح
وكيف شعرك لم يقرأه سفاح

وأين زينب تبكي من مجازرهم
وأين قطتنا الشقراء ترتاح

لم يبق بعدك يا مقدام معتصم
ولن يزهر بالفيحاء تفاح

ولا لبلقيس إشراق بشرفتها
لا قهوة الصبح فيها الهيل فواح

في كل وجه أرى بغداد شاحبة
وبالعيون أرى صنعاء تجتاح

والنيل يبكي من آلامه انتفضت
أطراف دجلة والأردن نواح

سال الفرات على جفنيك يا وطني
وما رثاك على الأطلال قداح

ومن صفاقس نادتني جراح هوى
فمن يكون لقلبي اليوم ملاح

وهزني الشوق في لبنان أن أخا
لي مثل روحه أرض تبكي أرواح

وأغلق الشوق يا قلبي على زمن
كل القلوب فما أغراك مفتاح

والياسمين يئن اليوم مكتئبا
والأقحوان لحزن بات نضاح

أمي بخيمة ذل تشتكي وجعاً
فاغضض بطرفك إن الجفن لماح

ضاعت لعمرك بل تاهت عروبتنا
وساس بالقوم ذو ناب ونباح

هذي دمشق وفيها ألف باكية
فكيف ترجع بعد الحزن أفراح

قم من رقادك واسق كل عاشقة
من الوريد فما ترويها أقداح

سأعبر البحر والأمواج تحملني
لساحة القدس هل أغفو فارتاح

شعر: عبدالعزيز الفريح

صحيفة الحرمل: ثقافية ــ سياسية ــ نصف شهرية ــ تصدر عن مؤسسة توتول الإعلامية بالتعاون مع بيت الرقة لكل السوريين
رئيس مجلس الإدارة و رئيس التحرير: بسام البليبل
ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete
SAYI: **48** YIL: 2016 (**2**.)
İMTİYAZ SAHİBİ: **ŞÜKRÜ KIRBOĞA** - EDİTÖR: **BASSAM ALBULAIBL**
BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 **MOB: 00905316201958**
Facebook.com/AlharmalJournal Twitter.com/AlharmalJournal Alharmal.journal@gmail.com
Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa

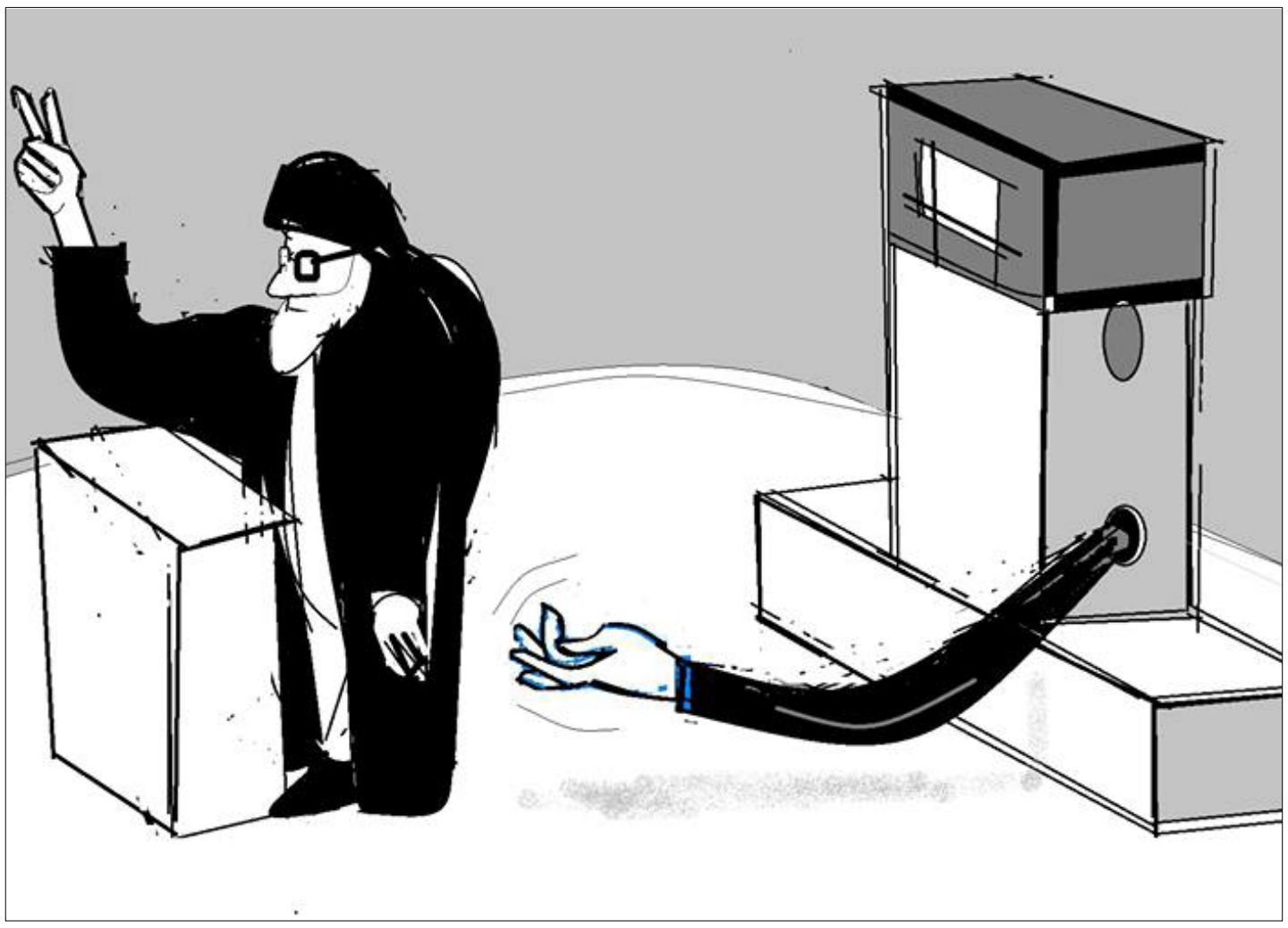

اسمي زهرة..

نجاة عبد الصمد

لا أحد يناديني باسمي.

في ضيعتنا النمّامة ينادونني: (مرت السوداني)، وفي حارات الشام العريقة أصير: (اللفاية).

أركب السرفيس كل يومٍ من ضيعتي "شبعا" في الريف إلى "أبو رمانة" أو "المهاجرين" أو "الجسر الأبيض" في قلب دمشق. أنظّف أوساخ البيوت، وأعود، تسبقني رائحة الكلور، إلى بيت أمي. مات أبي في صغري دون ميراث، وأورثتني أمي مهنتها وعبوس حظّها، وشقوقاً لا تندمل على أرضيّة قدميّ الكبيرتين.

أحلم بعريس، ولا يخطبني أحد.

الشرشف الذي عرضته عليّ مخدومتي لأشتريه طيّرَ عقلي. شرشفٌ هنديّ أحمر اللون والثمن. من أين لي بثلاثة آلاف ليرة حتى تصير لي ورودُه الناريّة، وخرزاته الملوّنة والشمعة المضيئة في وسطه، والمكتوب تحتها: I LOVE YOU FOREVER؟!

سنة وربع السنة، وأنا أُقسّط ثمنه كل شهر مائتيّ ليرة سورية حتى صار شرشفي أنا، ولم يخطبني أحد.

لماذا، وأنا البنت الحلوة؛ لم يُغرم بي أخيراً، من بين كل عباد الله، سوى محمد السودانيّ؟

"وإن كان أسود؛ كلنا خلق الله. وإن كان سودانياً؛ كلنا عرب. وإن كان عاطلاً عن العمل؛ هو ضيفنا في الشام"!

جاء محمد إلى الشام ليتعلم ولم يتعلم. ولم يعمل، ولم يعد يفكّر بالعودة إلى السودان منذ أن التقاني.

تزوّجنا... لم يكن في عرسنا في شبعا ألعابٌ نارية، أو قالب كاتو نقطعه بسيفٍ كبير. سكننا في غرفةٍ عاريةٍ قرب بيت أمي. لم يطاوعني قلبي أن أهرق ورود شرشفي على فرشةٍ مستعارةٍ أفردها في ساعات الحب، وأطويها بعد انقضائه، وأحزن لأنّ عليّ أن أغادر مع الفجر إلى عملي وأترك محمداً وحيداً، يداري ضجره بالتدخين، وتأمّل صورة أمه التي حملها من السودان، تقف هناك بثوبٍ برتقاليّ مزهّر، وزنار أزرق يخمص خصرها النحيل، تقطف عناقيد الموز، وحولها وخلفها نساءٌ وأطفالٌ كثيرون...

يكتم دمعته، ويزيح بصره عن الصورة إلى الضباب المسافر خلف شباك غرفتنا الوحيد مرّت سنة، وفاض حنينه. صار السودان في عيني محمد أجمل من سوريا ومن زهرة. لم يودّعني. أودع في عبّهِ أشواقه، ومدّخراتي، وطار تحت ستر الليل إلى مسقط رأسه. تركني أسقط على أرض الغرفة، أحضن بطني بيديّ، أتحسّس ململاتِ صبيٍّ سيخرج من رحمي بعد شهور...

سيولد ابني أسود اللون، وسأسمّيه "عمر". ولن أفرش شرشفي الأحمر احتفالاً بولادته، لأنني، أنا المهجورة، كان عليّ أن أعود صاغرةً إلى بيت أمي؛ ذلك البيت الذي لم يتزيّن يوماً بسرير.

لم تطق أمي عمر. تشاءمت من لون جلده. حبّاً بأمي حملته وغادرت. تنقّلتُ به بين خمسة بيوتٍ مستأجرةٍ... أرقد قرب ابني في الليل تؤنسني أنفاسه المطمئنة. يدي تمسّد شعره الأجعد، وعيناي تصلّيان لرموشه الطويلة والغزيرة والآمنة في نومها، وصدري يسأل عن طيف أبيه: ما ضرّه لو بقي معنا؟! ولماذا لم يورثني سوى لون عمر، وكيف لم يشفق على تعبي، ولم يبقِ لي سوى شرشفي الذي ظلّ في كيسه أُفرده مرّةً في الشهر تحت دفء الشمس، تضحك وروده قليلاً قبل أن أعيدها باكيّةً إلى خبائها، وأحشر بين طياتها الصابون والخزامى، وأقول لنفسي: دوام الحال من المحال...

وحوّشتُ ثمن السرير، وصار عمر في سنّ المدرسة، وقامت الثورة، وحلّ القصف بشبعا... (ألم يخطر لهم أن يقوموا بثورتهم إلا حين صار عندي سريرٌ أفرش فوقه شرشفي)؟!

نزحنا إلى نجها. في نجها ضرب تلاميذ المدرسة عمر لأنهم يحبّون اسم "عليّ"، ويبغضون اسم "عمر".

اتصلتُ بمخدومتي. قالت: (تعالي إليّ. لا قصف عندنا هنا في الجسر الأبيض). أخبرتها أن الحواجز على الطريق كالغيلان. قالت: تقيمين عندي إذاً، وأسجّل ابنك في مدرسة حيّنا. بعتُ سريري بتراب المال، وأخذت ابني وشرشفي، ورحتُ إليها.

هناك في بيتها الذي يهلّل للثورة تقيم نساءٌ كثيرات. نازحاتٌ مثلي، ومهجوراتٌ مثلي، وخارجات من السجن، وفناناتٌ، ومعلمات مطرودات من العمل، يخرجن نهاراً إلى المظاهرات ثم الإغاثة، ويقضين الليل في أعمال الحياكة والتطريز ليدعمن المنكوبين بأثمانها...

صار عمر يعمل مثلنا. لم يعد يطيق المدارس كلها، منذ صار التلاميذ في مدرسة الجسر الأبيض يتجمعون في جوقةٍ تصيح من وراء ظهره: يا عمر الأسود، يا عمر الأسود...

تبرّعت إحدى معلمات البيت بتعليم عمر اللغة الإنكليزية. صار ينطق بها ويتعلّم كتابتها وهو لا يعرف بعد العربية.

ما زال شرشفي مطوياً

وعمر؛ صار عمر السوري السوداني المولود في شبعا والمقيم في الجسر الأبيض، والمنبوذ من المدارس، والناطق بالإنكليزية، وصار ابن هؤلاء النساء جميعاً...

وأنا؛ أجلس الآن على أعتاب حكايتي، أعيد التدرّب على أسمائي جميعاً: أنا زهرة، أنا ابنة شبعا، أنا (مرت السوداني)، أنا أم عمر...

لكنني لم أعد اللفاية...

زاوية حرة

الفرصة الأخيرة..!

يوسف دعيس

يعتبر جون كيري وزير خارجية أمريكا بأن الهدنة الأخيرة الموقعة بين أمريكا وروسيا هي الفرصة الأخيرة للسوريين، ويهدد بأنها إن لم تصمد فسوريا ذاهبة إلى التقسيم، يعني إما أن تقبلوا بالهدنة وفق الشروط التي يضعها مديرو اللعبة، أو الموت بانتظاركم، وتقسيم بلادكم كما تقتضي مصالح الغرب، هكذا بكل بساطة يتفق الطرفان القاتلان على رسم معالم القتل والدمار، دون أن يستشيروا أطراف النزاع، وأقصد المعارضة وأركان النظام، وهو ما يؤكد أن لا أدوار رئيسة لهم في الأزمة، وهم مجرد كومبارس، يتحركون وفق أوامر الغرب الديمقراطي، الغرب الذي يوزع أدوار القتلة المأجورين كما يريد، وكما تعوّد في سياسة تعيد إلى الأذهان صورة العبد الذليل الذي يتلقى أوامره من السيد المتجبر.

أركان النظام يعتبرون أن الهدنة هي إعادة تجميع القوة، والاستعداد لضرب المناطق الخارجة عن سيطرته في أول فرصة سانحة له، وأركان المعارضة المنفلتة من عقالها، لا تعرف أين تضع قدمها، وما زالت تعيش أوهامها في تمثيل تطلعات السوريين الذين خرجوا من أجل حريتهم وكرامتهم، ووحدهم السوريون الذين يعيشون تحت وابل القنابل والصواريخ والنابالم الحارق والكلور القاتل، يتطلعون للعيش بهدوء بعيداً عن ضجيج الطائرات وجنازير المصفحات والدبابات، وبألم صارخ يريدون إيقاف نزيف الدم السوري المتواصل، والأمم المتحدة بمجلس أمنها الذي من المفترض أن ينشر السلام في ربوع البلاد غائبة، وكأنها تعيش في عالم آخر، وأن أمر سوريا لا يعنيها من قريب ولا من بعيد.

إن كان الغرب يريد للهدنة أن تستمر، فعليه أن يحق الحق أولاً، وأن لا يكيل بمكاييل على قدر مصالحه، فمصلحة الغرب أولاً يجب أن تكون في الجانب الإنساني، وأن يكون منفتحاً على كل الأطراف، وربما تكون هذه التخرصات مجرد صرخة في وادٍ سحيق، ورجع صداها لا يُقلق أركانهم بمن فيهم الأمين العام للأمم المتحدة، الذي يُسمعنا جعجعة ولا يرينا طحيناً، إن كان للهدنة فرصة أن تعيش، فيجب أن تحقق الشرط الأساسي لإيقاف النظام المجرم عن قتل السوريين، ووقف روسيا عن المشاركة في قتل السوريين، ووضع الميليشيات الطائفية في خانة الإرهابيين، وإن قيّض لها الاستمرار والديمومة، فستكون مقدمة لكي لا يكون في مستقبل سوريا أي دور للمجرمين وعلى رأسهم المجرم الأول بشار الأسد.

نريد للهدنة أن تستمر، وأن يكف النظام والروس والإيرانيون عن القتل، وأن تكون سوريا موحدة لكل السوريين، وأن يكون على الأرض السورية وجود للقبعات الزرق التي تستطيع بسط الأمن وفق البنود والقرارات التي ترسم سياسة أمن العالم، وتستطيع بما تملك من قوة مراقبة كل الأطراف بحيادية، حينها سنكون بمأمن من القتل الذي يطالنا يومياً.

أعتقد أن الفرصة الوحيدة المتبقية للسوريين أن يملكوا قرار إيقاف هذا النزيف الدموي، وأن يكفوا عن لعب دور الكومبارس المؤذي، الذي يساعد المجرم الأساسي في اللعبة على أداء دوره، وإلا لا معنى لوجودهم على هذه الأرض، وإن سألتموني كيف؟ فسألجأ إلى الصمت المطبق..